حَيَاةُ القُلُوبِ

حياة القلوب

دراسة تأصيلية في بيان حياة القلوب وأمراضها وعلاجها

تأليف

عمر رشيد عبد العزيز الزبيدي

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع بمركز المعلومات التابع
لإدارة التخطيط والمعلومات
(٢٠١٥/٨٦م)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

إصدار المراقبة الثقافية بإدارة مساجد محافظة الفروانية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت

مطبعة النظائر
هاتف: ٢٤٧٤٤٧٤٠ - فاكس: ٢٤٧١٦٩٩٣
www.nazaer.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

(الشعراء: ٨٨-٨٩)

قال الله تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٨)

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

لما كان لحياة القلوب وصحتها أثر كبير في صلاح الفرد والمجتمع، وحصول الفضيلة وانتشارها، وقمع الرذيلة واقتلاعها، وحصول الأمن والعدل والنعمة والاهتداء، اخترت هذا الموضوع الذي يتناول جوانب مهمة في صلاح القلوب، ومعرفة أمراضها وآفاتها، والعلاجات الصحيحة لتلك الأمراض، وخاصة وقد تفشَّت في أوساط كثير من الناس وبخاصة عوامِّهم وإن كان بعض صلحائهم لا يخلو منها، وكم رأينا من الذين أهملوا قلوبهم ولم يتداركوها بالعلاج من انحراف في السلوك والدين الذي أدَّى بهم إلى الانتكاس، نسأل الله العافية والثبات.

وقد خصصت هذا البحث لبيان ما يعرض للقلب من أدواء، وما ينبغي لها من العلاج، وقسمته إلى تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياة القلب:

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة حياة القلب.

المطلب الثاني: أهمية حياة القلب.

المطلب الثالث: أسباب حياة القلب.

المطلب الرابع: علامات حياة القلب.

المبحث الثاني: أمراض القلب:

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول:حقيقة أمراض القلب.

المطلب الثاني: أقسام أمراض القلب.

المطلب الثالث: أسباب أمراض القلب.

المطلب الرابع: علامات أمراض القلب.

المبحث الثالث: علاج أمراض القلب:

وتحته مطالبان:

المطلب الأول: أهمية علاج أمراض القلب.

المطلب الثاني: أقسام علاج أمراض القلب.

وأسأل الله تعالى أن يسددني ويوفقني لكل خير، وأن يتجاوز عني كل خطأ بدر مني، وما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله منه وأتوب إليه.

كتبه
عمر رشيد عبد العزيز الزبيدي
بدولة الكويت
في ٢/ شعبان/ ١٤٣٦هـ

تمهيد

بيان أنواع القلوب

قبل التطرق إلى موضوع البحث، يحسن ذكر أقسام القلوب عموما وأحوالها، وبما أن القلوب توصف بالحياة وضدها، فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- القلب السليم.

٢- القلب الميت.

٣- القلب المريض.

وإليك تفصيل هذه القلوب وبيان أحوالها.

أولاً:القلب الصحيح: هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

قال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب السليم: هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن»[٢].

ثانياً :القلب الميت: وهو القلب الخالي من الإيمان، قد أقفر من الخير، وأصبح مرتعاً للشر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب الميت وهو الذي لا حياة به، فهو

(١) سورة الشعراء: ٨٨ - ٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير: (٦/ ١٣٦).

لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته؛ ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله حبا، وخوفا، ورجاء، ورضا، وسخطا، وتعظيما وذلا. إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثرُ عنده وأحبُّ إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور، ينادى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، فلا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد. الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه، فمخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته سم، ومجالسته هلاك»[1].

ومن صفاته أنه قد غلفه الران فخُتم وطُبع عليه، فهو مقفل عن كل خير أعمى لا يبصر الهدى.

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3].

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ٩).
(٢) سورة المطففين: ١٤.
(٣) سورة البقرة: ٧.

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً العلاقة بين الران وبين الطبع والختم: «والحق في ذلك ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ... عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت له نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه، فذلك الران الذي قال جل ثناؤه:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾))[2][3]، فأخبر ﷺ أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلفتها، وإذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قِبَل الله عز وجل والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص، فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى ... لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم، إلا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها»[4].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد ذلك كله»[5].

ثالثاً: القلب المريض: هو المتذبذب بين السلامة والقساوة، فهو يعلو حينا ويهبط حينا، وهو القلب الذي تمده مادتان: مادة إيمان ومادة كفر، وهو إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسي، وإن غلبت عليه صحته التحق بالقلب السليم.

---

(١) سورة الأعراف: ١٠١.

(٢) سورة المطففين: ١٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه [٤٢٤٤]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٣١٤١].

(٤) جامع البيان: (٣/ ١١٢- ١١٣).

(٥) المصدر السابق: (١/ ٢٥٩).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن القلب المريض: قلب له حياة وبه علة؛ فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب؛ وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداع يدعوه إلى العاجلة. وهو إنما يجيب أقربهما منه بابا، وأدناهما إليه جوارا فالقلب الأول، حي مخبت لين واع، والثاني يابس ميت، والثالث مريض، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى.

وقد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة في قوله:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب في هذه الآيات ثلاثة قلوب: قلبين مفتونين، وقلباً ناجياً فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي.

والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه، وهو المطمئن إليه الخاضع له المستسلم المنقاد[2].

---

(١) سورة الحج: ٥٢ – ٥٤.

(٢) انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ٩-١٠).

المبحث الأول
حياة القلب

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة حياة القلب.

المطلب الثاني: أهمية حياة القلب.

المطلب الثالث: أسباب حياة القلب.

المطلب الرابع: علامات حياة وصحة القلب.

المطلب الأول

حقيقة حياة القلب

تعريف الحياة لغة: نقيض الموت، والحي من كل شيء: نقيض الميت، والجمع أحياء. والحي: كل متكلم ناطق. والحي من النبات: ما كان طريا يهتز[(١)].

تعريف القلب لغة: القاف واللام والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على خالص شيء وشريفه، والآخر على رد شيء من جهة إلى جهة، فالأول القلب: قلب الإنسان وغيره، سمي لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه، وخالص كل شيء وأشرفه قلبه[(٢)].

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: والقلب، مضغة من الفؤاد معلقة النياط.

وقال بعضهم سمي القلب، قلبا لتقلبه، وأنشد:

ما سمي القلب قلبا إلا من تقلبه والرأي يصرف بالإنسان أطوارا[(٣)]

وقال رسول الله ﷺ: ((**إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة تقلبها الريح ظهرا لبطن**))[(٤)].

وقال ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: وسمي القلب قلبا، لتقلبه في

---

(١) انظر لسان العرب: (١٤/ ٢١٢).

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن الحسين أحمد بن فارس: (٥/ ١٧).

(٣) انظر لسان العرب: (١/ ٦٧٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند [١٩٦٦١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٢٣٦٥].

الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن، وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوبا[1].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: والقلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[2] وقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[3] يعني في الموضعين قلبك.

وقد يعبر به عن العقل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[4]. أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين، والفؤاد محل القلب، والصدر محل الفؤاد[5].

والمقصود بحياة القلب سلامته من جميع الآفات والأمراض التي تصيبه وتخرجه عن صحته واعتداله، وإليك بعض أقوال أهل العلم في معنى القلب الحي السليم:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[6] :أي سالم من الدنس والشرك.

وقال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: القلب السليم أن يعلم أن الله حق وأن

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١/ ١٢٨).
(٢) سورة الفرقان: ٣٢.
(٣) سورة الشرح: ١.
(٤) سورة ق: ٣٧.
(٥) انظر تفسير القرطبي: (١/ ١٣١-١٣٣).
(٦) سورة الشعراء: ٨٩.

الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، والقلب السليم أن يشهد أن لا إله إلا الله.

وقال مجاهد والحسن وغيرهما: (بقلب سليم) يعني من الشرك.

وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[1].

وقال أبو عثمان النيسابوري: هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقلب السليم الذي ينجو من عذاب الله، وهو القلب الذي قد سلم لربه، وسلم لأمره، ولم تبق فيه منازعة لأمره ولا معارضة لخبره فهو سليم مما سوى الله وأمره، لا يريد إلا الله ولا يفعل إلا ما أمره الله، فالله وحده غايته، وأمره وشرعه وسيلته وطريقته، لا تعترضه شبهة تحول بينه وبين تصديق خبره لكن لا تمر عليه إلا وهي مجتازة، تعلم أنه لا قرار لها فيه، ولا شهوة تحول بينه وبين متابعة رضاه، ومتى كان القلب كذلك فهو سليم من الشرك، وسليم من البدع، وسليم من الغي، وسليم من الباطل»[3].

---

(١) سورة البقرة: ١٠.

(٢) انظر تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٣٩).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور أهل العلم والإرادة: (١/ ٤١).

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالقلب السليم: هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وما يحبه الله، وخشية الله، وخشية ما يباعد منه»(١).

وقال عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «القلب السليم معناه: الذي سلم من الشرك والشك، ومحبة الشر، والإصرار على البدعة والذنوب، ما يلزم من سلامته مما ذكر اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين، ومحبة الخير، وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله وهواه تابعا لما جاء عن الله»(٢).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «القلب الصحيح هو القلب الذي صحت وقويت قوته العلمية، وقوته العملية الإرادية، وهو الذي عرف الحق فاتبعه بلا تردد وعرف الباطل فاجتنبه بلا توقف، فهذا هو القلب الصحيح الحي السليم وصاحبه من أولي النهى، وأولي الحجة وأولي الألباب وأولي الأبصار والمخبت لله والمنيب إليه»(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك، والغل والحقد، والحسد والشح والكبر، ومن كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة البرزخ، وفي جنة يوم الميعاد ولا

(١) جامع العلوم والحكم: (١/ ٢١١).
(٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/ ٥٩٣).
(٣) فوائد قرآنية: (١/ ٥٣).

تتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء، من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص»[1].

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبالجملة فالقلب الصحيح هو القلب الذي همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابِّه»[2].

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: (١/ ١٤٣).
(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ٧٣).

المطلب الثاني

أهمية حياة القلب

لاشك أن لحياة القلب وصلاحه أهمية كبيرة لكل مسلم في الدنيا والآخرة وتتبين هذه الأهمية بما يلي:

١ - القلب الصحيح هو الذي ينتفع بالآيات البينات والمواعظ والعبر قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

قال القرطبي: «أي حي القلب»[٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[٣].

قال عبد الرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: «أي قلب عظيم حي ذكي زكي ، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله، تذكر بها وانتفع فارتفع»[٤].

فجعل الله سبحانه وتعالى أصحاب القلوب الحية هم الذين ينتفعون بالذكرى وبالآيات الشرعية والكونية.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ**

---

(١) سورة يس: ٦٩-٧٠.

(٢) تفسير القرطبي: (١٥/ ٣٨).

(٣) سورة ق: ٣٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/ ٧٥٠).

الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)) متفق عليه[1].

٢- صلاح الجسد والجوارح موقوف على صلاح القلب، كما أن بفساده يفسد الجسد، فهو بمثابة المَلِك والأعضاء تبع له، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)) متفق عليه[2].

قال ابن رجب رحمه الله: «صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه المحرمات واتقاؤه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه؛ فإذا كان قلبه سليماً، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية

(١) أخرجه البخاري [٧٩]، ومسلم [٢٢٨٢].
(٢) أخرجه البخاري [٥٢]، ومسلم [١٥٩٩].

الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوق للشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات وإن كان القلب فاسدا، قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب؛ ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحا كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسدا كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم»[1].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجسد تابع للقلب، فلا يستقر شيء في القلب إلا ظهر موجبه ومقتضاه على البدن ولو بوجه من الوجوه»[2].

وقال الشيخ محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاحرص يا أخي على طهارة قلبك قبل طهارة جوارحك، كم من إنسان يصلي، ويصوم، ويتصدق، ويحج، لكن قلبه فاسد.

وهاهم الخوارج حدَّث عنهم النبي ﷺ؛ أنهم يُصلّون، ويصومون، ويتصدقون، ويقرؤون القرآن، ويقومون الليل، ويبكون، ويتهجدون، ويحقر الصحابي صلاته عند صلاتهم، لكن قال

(١) جامع العلوم والحكم: (١/ ٩٤-٩٥).
(٢) مجموع الفتاوى: (١٤/ ١٢١).

النبي ﷺ: ((**لا يجاوز إيمانهم حناجرهم**))[1] لا يدخل الإيمان قلوبهم.

مع أنهم صالحوا الظواهر، لكن ما نفعهم، فلا تغتر بصلاح جوارحك، وانظر قبل كل شيء إلى قلبك، أهم شيء هو القلب»[2].

٣- القلب السليم ينال السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة إذ لا نجاة ولا فلاح بدونه، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته وعبادته، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]، وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة والرضا، والرزق الحسن وغير ذلك، والصواب: أنها حياة القلب ونعيمه، وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله، ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، كما كان بعض العارفين يقول: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وقال غيره:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٦١١]، ولفظه ((يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)).

(٢) شرح رياض الصالحين: (٣/ ٢٧٧-٢٧٨).

(٣) سورة الشعراء: ٨٨- ٨٩.

(٤) سورة النحل: ٩٧.

إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا، وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح، فإنه ملكها، ولهذا جعل الله المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكره، وهي عكس الحياة الطيبة»[1].

٤ - الأعمال تتفاضل بقدر ما في القلب من الإخلاص، و الحياة والصحة والاستقامة، والسلامة من الأمراض.

كما قال ﷺ: ((**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**))[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «تفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها»[3].

٥ - القلب السليم ينال التوفيق من الله تعالى، والسداد والعصمة من الشر والفساد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن القلب لا يزال مشتتاً مضيعاً حتى يرحل من الدنيا وينزل في الآخرة، فإذا نزل فيها أقبلت إليه وفود التوفيق والعناية من كل جهة، واجتمع على جمع أَطرافه وقضاء جهازه، وتعبئة زاده ليوم معاده، وما لم يترحل إلى الآخرة ويحضرها فالتعب والعناءُ والتشتت والكسل والبطالة لازمة له لا محالة»[4].

---

(١) مدارج السالكين: (٣/ ٢٤٣).

(٢) أخرجه مسلم [٢٥٦٤].

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب: (١/ ١١).

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين: (١/ ٢٧٣).

٦- القلب السليم يورث صاحبه الفرح والسرور بفضل الله تعالى ورحمته، فالمؤمن يفرح بربه أعظم من فرح كل أحد بما يفرح به من حبيب أو حياة، أو مال، أو نعمة، أو ملك. يفرح المؤمن بربه أعظم من هذا كله، ولا ينال القلب حقيقة الحياة حتى يجد طعم هذه الفرحة والبهجة، فيظهر سرورها في قلبه ومضرتها في وجهه، فيصير له حال من حال أهل الجنة حيث لقّاهم الله نضرة وسروراً، فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون[١].

٧ - حياة القلب مادة كل خير، وموته وظلمته مادة كل شر، وذلك أن القلب إذا امتلأ بنور الإيمان أشرق وأضاء، وكان لإشراقه وإضاءته أثر متين في سلوك صاحب القلب الحي، فتجد أقواله وأفعاله وأحواله كلها لله وبالله، فنال من الخير غايته، ومن الراحة والطمأنينة حقيقتها[٢].

٨- الإيمان لا يستقيم إلا باستقامة القلب.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه**))[٣].

قال ابن رجب رحمه الله: «والمراد باستقامة إيمانه: استقامة أعمال

(١) انظر المرجع السابق: (١/ ٩٧).
(٢) انظر إغاثة اللهفان: (١/ ٢٣).
(٣) أخرجه أحمد [١٣٠٤٨]، وحسنه الألباني في الصحيحة [٢٨٤١].

جوارحه، فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله، ومحبة طاعته، وكراهة معصيته» [1].

٩- حياة القلب سبب ثبات العبد على دينه عند هبوب رياح الفتن الظاهرة والباطنة، من فتن الشهوات وفتن الشبهات، فالقلب الصحيح إذا عرضت له الفتن أعرض عنها واعتصم بالله فيصرفها الله تعالى عنه، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))**[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «فشبَّه عرض الفتن على القلوب شيئا فشيئا كعرض عيدان الحصير، وهى طاقاتها شيئا فشيئا، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين: قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها، كما يشرب السفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينتكس، وهو معنى قوله **((كالكوز مجخيا))** أي مكبوبا منكوسا، فإذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران مترامیان به إلى الهلاك:

(١) جامع العلوم والحكم: (١/ ٢١١).
(٢) أخرجه مسلم [١٤٤].

أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرا والمنكر معروفا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلا والباطل حقا، الثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول ﷺ، وانقياده للهوى واتباعه له، وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها، فازداد نوره وإشراقه وقوته»[1].

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٢).

المطلب الثالث

أسباب حياة القلب

بعد ذكر حقيقة حياة القلب وأهميته وثمراته نذكر الأسباب التي بها يحيا القلب ويصبح صحيحا معافى بإذن الله تعالى، وقد ذكر العلماء أسباباً كثيرة لحياة القلب أهمها:

١ - الإيمان بالله سبحانه وتعالى و توحيده:

إن التوحيد سراج في القلب يزداد نوراً بتحقيقه، ولا حياة للقلب بدون التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وتحقيقه هو السبب الأعظم لحياته وإشراقه، فمتى خلا القلب من نور الإسلام والإيمان أظلم واسود ومات، ومتى حل به الإيمان انشرح واستنار وأناب وإذا تحقق التوحيد ثبت ذلك ودام.

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه، ومنها: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسعه ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب

(١) سورة الأنعام: ١٢٥.

العبد ضاق وحرج، وصار في أضيق سجن وأصعبه»[١].

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان» [٣].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا، أي: في الضلالة، هالكا حائرا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله»[٤].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٥] في بيان معنى الزكاة:«وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وإثبات إلهية الحق في القلب، وهو حقيقة لا إله إلا الله، وهذا أصل ما تزكو به القلوب»[٦].

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد أصل صلاح الناس، والإشراك

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد: (٢/ ٢٣).
(٢) سورة الأنعام: ١٢٢.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٥١).
(٤) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٣٠).
(٥) سورة فصلت: ٦-٧.
(٦) أمراض القلوب: (١/ ٦).

أصل فسادهم، والقسط مَقْرون بالتوحيد، إذ التوحيد أصل العدل»[1].

٢- استقامة القلب على طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ، وتقديم محبته على محبة من سواه:

فمتى استقام القلب على نور الوحي من كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ أشرق واستنار ونال الحياة الطيبة.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: استقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب.

الثاني: تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[3][4].

---

(١) الفتاوى الكبرى: (١/ ٩٨).

(٢) سورة النحل: ٩٧.

(٣) سورة نوح: ١٣.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب: (١/ ٨).

٣- طيب المطعم والملبس، وتحري الحلال والابتعاد عن مواطن الشبهات:

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره، وتأكيد استعداده لقبول أنوار المعرفة»(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة، كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك»(٢).

٤- الشوق إلى الله تعالى واستماع كلامه:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشوق إلى الله ولقائه نسيم يهب على القلب يروح عنه وهج الدنيا»(٣).

٥- القناعة باليسير وعدم الحرص على الدنيا:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **((قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه))**(٤).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا عيش في الدنيا إلا للقنوع باليسير؛ فإنه كلما زاد الحرص على فضول العيش، زاد الهم، وتشتت القلب، واستعبد العبد وأما القنوع، فلا يحتاج إلى مخالطة من فوقه، ولا يبالي

---

(١) كتاب الأربعين في أصول الدين: (١/ ١٠٢).
(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ٥٤).
(٣) الفوائد: (١/ ٩٨).
(٤) أخرجه مسلم: [١٠٥٤].

بمن هو مثله؛ إذ عنده ما عنده»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «من ذبح حنجرة الطمع بخنجر الْيَأْس أعتق الْقلب من أسر الرّقّ، ومن ردم خندق الحرص بسكر القناعة ظفر بكيمياء السعادة»[2].

٦- مخالفة الهوى:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها، فيصير نفس دوائها، ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها، فهواها مرضها، وشفاؤها مخالفته»[3].

٧- الاستجابة الكاملة والانقياد التام لله سبحانه ورسوله ﷺ:

وذلك بفعل الطاعات وترك المحرمات والمكروهات.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[4].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن فعل المأمورات هو حياة القلب

---

(١) صيد الخاطر: (١/ ٤٩٤).

(٢) المدهش: (١/ ٣١٦).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: (١/ ٨٨).

(٤) سورة الأنفال: ٢٤.

وغذاؤه وزينته، وسروره وقرة عينه ولذته ونعيمه»[1].

وقال عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته وطاعة رسوله ﷺ على الدوام»[2].

٨- تلاوة القرآن العظيم بالتدبر والتفهم لمعانيه آناء الليل وأطراف النهار:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فسمى وحيه روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة، ومن عدمها فهو ميت لا حي، والحياة الأبدية السرمدية في دار النعيم هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحى إلى رسوله ﷺ، فمن لم يحيا به في الدنيا فهو ممن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، وأعظم الناس حياة في الدور الثلاث؛ دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الجزاء، أعظمهم نصيبا من هذه الحياة بهذه الروح، وسماه نورا لما يحصل به من استنارة القلوب

(١) الفوائد: (١/ ١٢٠).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/ ٢٨٠).
(٣) سورة الشورى: ٥٢.

وإضاءتها، وكمال الروح بهاتين الصفتين: بالحياة والنور، ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والاهتداء بما بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتة مظلمة»[1].

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[2].

٩- كثرة ذكر الله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3].

قال عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ «أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها».

قوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ أي: حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذّ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له»[4].

فعن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: ((**مثل الذي يذكر ربه**

---

(١) اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية: (٢/ ٨٨).
(٢) سورة محمد: ٢٤.
(٣) سورة الرعد: ٢٨.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/ ٣٧٢).

والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت))[1].

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ من فوائد الذكر أنه يورث حياة القلب، وقال: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك بدون ماء ؟[2].

وقال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل»[3].

١٠ - تحقيق أركان العبادة الثلاثة:

وهي تحقيق المحبة لله تعالى، والخوف منه، ورجاؤه سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[4].

قال الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي في تفسير هذه الآية: «وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير.

فمن تمت له تمت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه

---

(١) أخرجه البخاري [٦٤٠٧]، ومسلم [٧٧٩].
(٢) انظر الوابل الصيب من الكلم الطيب: (١/ ٤٢).
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان [٥٢٠].
(٤) سورة الإسراء: ٥٧.

الخيرات، وأحاطت به الشرور.»[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فما حفظت حدود الله ومحارمه ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب عن هذه الثلاثة فسد فسادا لا يرجى صلاحه أبدا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه»[2].

١١- الاعتناء بالغذاء النافع، وبالدواء الشافي، والابتعاد عن الغذاء الضار:

وحقيقة هذا الغذاء النافع الإيمان وجميع الطاعات والقربات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء»[3].

وقال جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة، وحب الله تعالى»[4].

وهذه الطاعات ملازمة لحياة القلب لزوم الطعام والشراب للجسد، والعبد محتاج إلى عبادة ربه عز وجل فقير إليه فقرا ذاتيا، كما يأخذ العبد الأسباب لحياة جسده من المداومة على تناول الأغذية النافعة في أوقات متقاربة، وإذا تبين له أنه تناول طعاما مسموما عن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٤/ ٢٩١).
(٢) بدائع الفوائد: (٣/ ١٢).
(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ٧٠).
(٤) تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: (١/ ٢٠٧).

طريق الخطأ أسرع في تخليص جسده من الأخلاط الرديئة.

١٢- تذكر الموت وقِصر الأمل:

وهذا أمر مرغب فيه شرعاً؛ لما له من أثر في صلاح القلب.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((أكثروا ذكر هاذم اللذات))**، يعني الموت[1].

وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ قال: «لو فارق ذكر الموت قلبي خشيت أن يفسد عَلَيَّ قلبي»[2].

١٣- طلب العلم الشرعي ورفع الجهل:

العلم بمنزلة الغيث للأرض، فكما أن الأرض لا تحيا إلا بالغيث والمطر فكذلك القلوب لا تحيا وتنور إلا بالعلم والمعرفة.

عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم**

---

(١) أخرجه الترمذي [٤٢٥٨]، والنسائي [١٨٢٤]، وابن ماجة [٤٢٥٨]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٣٣٣٣].

(٢) أخرجه أحمد في الزهد [٢١٦٨].

يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)) متفق عليه[1].

١٤ - حفظ السمع والبصر واللسان:

من أعظم الثغور التي يفسد بها القلب، ويدخل من خلالها الشيطان البصر والأذن واللسان، فيبث الشيطان سمومه من خلالها فإذا لم يرابط العبد عليها، ويحفظها عن المفسدات فسد قلبه وخرج عن صحته واستقامته، فكم من نظرة محرمة جلبت على صاحبها الهلاك، وكم من سماع محرم أفسد على القلب عافيته، وكم من كلمة تلفظ بها اللسان جرَّت عليه الأمراض والأحزان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المرابطة: هي لزوم ثغر القلب وحراسته؛ لئلا يدخل منه العدو، ولزوم ثغر العين والأذن واللسان والبطن واليد والرجل، فهذه الثغور يدخل منها العدو فيجوس خلال الديار ويفسد ما قدر عليه، فالمرابطة لزوم هذه الثغور، ولا يخلي مكانها فيصادف العدو الثغر خاليا فيدخل منه»[3].

ومن حفظ السمع تجنيبه سماع المحرمات، كالغناء المصحوب بآلات الموسيقى والمعازف.

---

(١) أخرجه البخاري [٧٩]، ومسلم [٢٢٨٢].

(٢) سورة الإسراء: ٣٦.

(٣) الجواب الكافي: (١/ ٩٧).

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[1].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: «الغناء، والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات»[2].

وقَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»[3].

وقال الضحاك رحمه الله: «الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب»[4].

(١) سورة لقمان: ٦.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ١٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة [٢٩٢٢].

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي [٣١]، وصححه الألباني في تحريم آلات الطرب (١/ ١٤٥).

(٤) تلبيس إبليس: (١/ ٢٢٠).

المطلب الرابع

علامات حياة القلب وصحته

إن لحياة القلب وصحته علامات من أهمها:

العلامة الأولى: أن يكون مدركا للحق مريدا له، مؤثرا له على غيره قاصداً له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان في القلب قوتان: قوة العلم والتمييز وقوة الإرادة والحب، كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه، ويعود عليه بصلاحه وسعادته، باستعمال قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل، وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل، فمن لم يعرف الحق فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه، ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه»[1].

العلامة الثانية: أن لا يتعذر عليه فعله الذي خلق لأجله، وهو العلم والحكمة والمعرفة، وحب الله تعالى وعبادته، والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] ، ففي كل عضو فائدة ، وفائدة القلب الحكمة والمعرفة[3].

---

(١) إغاثة اللهفان: (١/ ٢٤).

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) انظر إحياء علوم الدين: (٣/ ٦٢).

العلامة الثالثة: الخشوع في الصلاة:

إن الخشوع هو المظهر الأرقى لصحة القلب، فإذا ارتفع علم الخشوع فهذا يعني أن القلب المسلم قد خرب، فما ذهب الخشوع إلا وقد غلب القلب بأمراض خطيرة وأحوال شريرة كحب الدنيا والتنافس عليها.

العلامة الرابعة: إيثار النافع على الضار، والشافي على المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك، وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منها فيه الغذاء والدواء[1].

العلامة الخامسة: أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحلَّ فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها، جاء إلى هذه الدار غريبا يأخذ منها حاجته، ويعود إلى وطنه ،كما قال ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ((**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**))[2].

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنهَا مَنَازِلُكَ الأولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ
وَلكِنَّنَا سَبْيُ العَدُوِّ، فَهَلْ تَرَى نَـعُـودُ إِلَى أَوْطَـانِـنَا وَنُسَلَّمُ؟

وكلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة، وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها.

---

(١) انظر إغاثة اللهفان: (١/ ٧٠).

(٢) أخرجه البخاري [٦٤١٦].

العلامة السادسة: إن القلب الصحيح لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه، الذى لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به.

العلامة السابعة: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر.

العلامة الثامنة: أنه إذا فاته وِرْدُه وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده[1].

العلامة التاسعة: أنه يشتاق إلى العبادة، كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشرب[2].

العلامة العاشرة: أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقرة عينه وسرور قلبه.

العلامة الحادية عشرة: أن يكون همه واحدا، وأن يكون في الله.

العلامة الثانية عشرة: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم

(١) كمن يفوته ورده من قراءة القرآن أو أذكار الصباح والمساء وغيرها من الطاعات.
(٢) أي يشتاق إلى العبادات والطاعات بأنواعها كما يشتاق الجائع إلى الطعام.

منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه وتقصيره في حق الله.

العلامة الثالثة عشرة: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعا من أشد الناس شحا بماله[1].

العلامة الرابعة عشرة: القلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح[2].

(١) انظر هذه العلامات في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ٧٢).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٥١).

المبحث الثاني

أمراض القلب

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة أمراض القلب.

المطلب الثاني: أقسام أمراض القلب.

المطلب الثالث: أسباب أمراض القلب.

المطلب الرابع: علامات أمراض القلب.

المطلب الأول

حقيقة أمراض القلب

قبل التعرض لبيان حقيقة أمراض القلوب وأقسامها أذكر معاني كلمة (مرض) عموما من كلام أهل العلم واللغة.

تعريف المرض لغة:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «(مرض) الميم والراء والضاد أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان»(١).

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «المرض: السقم، نقيض الصحة يكون للإنسان والبعير وهو اسم جنس»(٢).

وقال أبو حيان الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المرض: مصدر مَرِضَ، ويطلق في اللغة على الضعف والفتور، ومنه قيل فلان يمرض الحديث . أي : يفسده ويضعفه»(٣).

تعريف المرض اصطلاحاً:

قال أبو السعود رَحِمَهُ اللَّهُ: «المرض: عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عند الاعتدال اللائق به، ويوجب الخلل في أفاعيله ويؤدي

(١) معجم مقاييس اللغة: (٥/ ٣١١).
(٢) لسان العرب: (٧/ ٢٣٢).
(٣) تفسير البحر المحيط: (١/ ٥٣).

إلى الموت»[1].

وقال الفيروز آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المرض: إظْلامُ الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها»[2].

أنواع المرض:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «المرض نوعان: فساد الحس، وفساد الحركة الطبيعية وما يتصل بها من الإرادية. وكل منهما يحصل بفقده ألم وعذاب فكما أنه مع صحة الحس والحركة الإرادية والطبيعية تحصل اللذة والنعمة فكذلك بفسادها يحصل الألم والعذاب»[3].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمرض يدور على أربعة أشياء فساد وضعف ونقصان وظلمة، ومنه مرض الرجل في الأمر إذا ضعف فيه ولم يبالغ، وعين مريضة النظر أي فاترة ضعيفة، وريح مريضة إذا هب هبوبها، كما قال: راحت لأربعك الرياح مريضة، أي لينة ضعيفة حتى لا يعفى أثرها»[4].

وقال ابن تيمية: «مرض القلب هو نوع فساد يحصل له يفسد به تصوره وإرادته، فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته بحيث يبغض

(١) تفسير أبي السعود: (١/ ٤١).
(٢) القاموس المحيط: (١/ ٨٤٣).
(٣) مجموع الفتاوى: (١٠/ ١٤٠).
(٣) شفاء العليل في مسائل القدر والتنزيل: (١/ ١٧١).

الحق النافع ويحب الباطل الضار؛ فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب، كما فسر مجاهد وقتادة قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٥]، أي شك وتارة يفسر بشهوة الزنا، كما فسر به قوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[٦].

والمرض في الجملة يضعف المريض بجعل قوته ضعيفة لا تطيق ما يطيقه القوي، والصحة تحفظ بالمثل، وتزال بالضد، والمرض يقوى بمثل سببه، ويزول بضده، فإذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه، وزاد ضعف قوته، حتى ربما يهلك، وإن حصل له ما يقوي القوة ويزيل المرض كان بالعكس.

ومرض القلب ألم يحصل في القلب كالغيظ من عدو استولى عليك، فإن ذلك يؤلم القلب، قال الله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾[٧]، فشفاؤهم بزوال ما حصل في قلوبهم من الألم، ويقال فلان شفى غيظه، وفي القود استشفاء أولياء المقتول، ونحو ذلك فهذا شفاء من الغم والغيظ والحزن، وكل هذه آلام تحصل في النفس»[٨].

وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمرض في القلب يصلح لكل ما خرج الإنسان به عن الصحة في الدين، وقال ابن عرفة: المرض

---

(٤) سورة البقرة: ١٠.

(١) سورة الأحزاب: ٣٢.

(٢) سورة التوبة: ١٤-١٥.

(٣) مجموع الفتاوى: (١٠/ ٦٠).

في القلب فتور عن الحق، وفي الأبدان فتور الأعضاء، وفي العين فتور النظر، وعين مريضة، فيها فتور ومنه: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[1]، أي فتور كما أمر به ونهي عنه، ويقال ظلمة»[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، وهو النوع المتقدم، كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، وهذا النوع هو أعظم النوعين ألما، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما. وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم، فهم أطباء هذا المرض.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال، كالهم والغم والحزن والغيظ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية، كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب، ويدفع موجبها مع قيامها، وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن، ويشقى بما يشقى به البدن فكذلك البدن يتألم كثيرا بما يتألم به القلب، ويشقيه ما يشقيه»[3].

(١) سورة الأحزاب: ٣٢.
(٢) لسان العرب: (٧/ ٢٣٢).
(٣) إغاثة اللهفان: (١/ ٧٢).

المطلب الثاني

أقسام أمراض القلب

ترجع أمراض القلوب إلى قسمين:

إلى أمراض شهوات، وإلى أمراض شبهات.

قال ابن أبي العز الحنفي: «إن أمراض القلوب نوعان: مرض شبهة، ومرض شهوة، وكلاهما مذكور في القرآن قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[1] فهذا مرض شهوة.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[2] فهذا مرض الشبهة وهو أردأ من مرض الشهوة، إذ مرض الشهوة يرجى له الشفاء بقضاء الشهوة، ومرض الشبهة لا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته»[3].

وقال عبد الرحمن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما القلب المريض فهو الذي انحرفت إحدى قوتيه العلمية أو العملية أو كلتاهما، **فمرض الشبهات** والشكوك الذي هو مرض المنافقين، لما اختل علمهم بقيت قلوبهم في شكوك واضطراب ولم تتوجه إلى الخير، كان مرضها مهلكا.

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٢.

(٢) سورة التوبة: ١٢٥.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: (١/ ٢٥٨).

ومرض الشهوات الذي هو ميل القلب إلى المعاصي مخل بقوة القلب العملية، فإن القلب الصحيح لا يريد ولا يميل إلا إلى الخير أو إلى ما أباحه الله له، فمتى رأيت القلب ميالا إلى المعاصي سريع الانقياد لها، فهو مريض وهو سريع الافتتان، عند وجود أسباب الفتنة»[1].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: **مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية،** فالكفر والنفاق والشكوك والبدع كلها من مرض الشبهات، والزنا ومحبة الفواحش و المعاصي وفعلهامن مرض الشهوات، كما قال تعالى: ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾[2] وهي شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين، فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية» [3].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن جماع أمراض القلب هي أمراض الشهوات والشبهات»[4].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما **مرض الشهوات ومرض الشبهات،** هذان أصل داء الخلق إلا من عافاه الله، وقد ذكر الله تعالى هذين المرضين في كتابه، أما مرض الشبهات وهو أصعبهما وأقتلهما

(١) فوائد قرآنية: (١/ ٨).
(٢) سورة الأحزاب: ٣٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٢٥).
(٤) إغاثة اللهفان: (١/ ٤٤).

للقلب، ففي قوله في حق المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[1] وقوله: ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾[3]، فهذه ثلاثة مواضع المراد بمرض القلب فيها مرض الجهل والشبهة، وأما مرض الشهوة ففي: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾[4] أي لا تلن في الكلام فيطمع الذي في قلبه فجور وزنا، قالوا: والمرأة ينبغي لها إذا خاطبت الأجانب أن تغلظ كلامها وتقويه ولا تلينه وتكسره، فإن ذلك أبعد من الريبة والطمع فيها.

وللقلب أمراض أخر من الرياء والكبر والعجب والحسد والفخر والخيلاء، وحب الرياسة والعلو في الأرض، **وهذا مرض مركب من مرض الشبهة والشهوة**، فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد وإرادة باطلة كالعجب والفخر والخيلاء، والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم، فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شبهة أو مركب منهما وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل ودواؤها العلم»[5].

---

(١) سورة البقرة: ١٠.

(٢) سورة المدثر: ٣١.

(٣) سورة الحج: ٥٣.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٢.

(٥) مفتاح دار السعادة: (١/ ١١١).

وقال أيضاً: إن العبد له قوتان، قوة الإدراك والنظر وما يتبعها من العلم والمعرفة والكلام، وقوة الإرادة والحب وما يتبعه من النية والعزم والعمل، **فالشبهة** تؤثر فسادا في القوة العلمية النظرية ما لم يداوها بدفعها، **والشهوة** تؤثر فسادا في القوة الإرادية العملية ما لم يداوها بإخراجها[1].

قال أبو حيان الأندلسي: «وقد تلخص في القرآن من المعاني السببية التي تحصل في القلب سبعة وعشرون مرضا، وهي: الرين، والزيغ، والطبع، والصرف، والضيق، والحرج، والختم، والإقفال، والإشراب، والرعب، والقساوة، والإصرار، وعدم التطهير، والنفور، والاشمئزاز، والإنكار، والشكوك، والعمى، والإبعاد بصيغة اللعن، والتأبي، والحمية، والبغضاء، والغفلة، والغمزة، واللهو، والارتياب، والنفاق. وظاهر آيات القرآن تدل على أن هذه الأمراض معان تحصل في القلب فتغلب عليه، وللقلب أمراض غير هذه من الغل والحقد والحسد، ذكرها الله تعالى مضافة إلى جملة الكفار»[2].

فتلخص من كلام أهل العلم أن أمراض القلوب ترجع إلى أصلين هما:

الأول: مرض الشهوات: وهو فساد في القوة العملية كمن يقع في الزنا واللواط.

---

(١) انظر المرجع السابق: (١/ ٤٠).

(٢) البحر المحيط في التفسير: (١/ ٩٦).

الثاني: مرض الشبهات: وهو فساد في القوة العلمية، فيرى الأمور على خلاف الواقع كمن يرى الهدى ضلالاً، والضلال هدى ويرى السنة بدعة، والبدعة سنة.

وقد تكون أمراض القلوب مركبة من المرضين مرض الشهوات ومرض الشبهات كالرياء والكبر والعجب.

المطلب الثالث

أسباب أمراض القلب

إن لكل مرض من أمراض القلوب أسبابا إذا ما وُجِدت مرض القلب، وخرج عن صحته واستقامته.

وإليك أهم هذه الأسباب:

١ - الذنوب والمعاصي:

وهي للقلوب بمثابة السم للجسد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ((**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله**)) ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1][2].

قال ابن القيم رحمه الله: «ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر، ولابد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي» [3].

---

(١) سورة المطففين: ١٤.

(٢) أخرجه الترمذي [٣٣٣٤]، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) الجواب الكافي:(١/ ٤٦).

وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها[1]

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن للذنوب ضعفا في القوة، وقسوة في القلب، وإن للحسنات قوة في البدن، ونورا في القلب»[2].

وأخطر الذنوب والمعاصي الشرك بالله تعالى، ثم البدعة ثم الكبائر.

٢- الجهل وترك العلم والتعلم:

متى خلا القلب من العلم أصبح وسطا قابلا للمرض؛ لأنه بسبب الجهل يدخل الشيطان إلى القلب فيفسد عليه تصوره وإرادته، فتجد القلب أحيانا يميل إلى الشهوات، وتارة إلى الشبهات وكل هذا لفقدان العلم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «والمرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق، ويمرض بنوع من الجهل، فله موت ومرض، وحياة وشفاء، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن»[3].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي [٦٩١٨].

(٢) شعب الإيمان للبيهقي [٦٨٢٧].

(٣) مجموع الفتاوى: (١٠/ ٦٠).

وقال ابن السيّد:

أخـو الـعـلـم حـي خالد بعد مـوته وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى يعدّ من الأحياء وهو عديم [1]

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الجاهل ميت القلب والروح، وإن كان حي البدن فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [3].

وشبَّههم في موت قلوبهم بأهل القبور، فإنهم قد ماتت أرواحهم، وصارت أجسامهم قبورا لها، فكما أنه لا يسمع أصحاب القبور، كذلك لا يسمع هؤلاء، وإذا كانت الحياة هي الحس والحركة وملزومها، فهذه القلوب لما لم تحس بالعلم والإيمان ولم تتحرك له كانت ميتة حقيقة وليس هذا تشبيها لموتها بموت البدن، بل ذلك موت القلب والروح [4].

---

(١) تاج العروس لأبي الفيض مرتضى الزَّبيدي: (١/ ١٠٧).

(٢) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٣) سورة فاطر: ٢٢.

(٤) انظر مدارج السالكين: (٣/ ٢٧٣ـ ٢٧٤).

٣- فتن الشهوات والشبهات:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد»[١].

فعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))**[٢].

٤- حصول أحد مفسدات القلب الخمسة التي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي:

المفسد الأول: كثرة الخلطة:

أي الإكثار من الخلطة غير النافعة بل قد تكون مضرة، ولها آثار خطيرة كامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسود ويوجب له تشتتا وتفرقا، وهما وغما، وحملا لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه في الاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسم

---

(١) إغاثة اللهفان: (١/ ١٢).

(٢) أخرجه مسلم: [١٤٤].

فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم، فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة؟.

وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة ؟ وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية وأوقعت في بلية ؟ وهل آفة الناس إلا الناس؟!، وهل كان على أبي طالب عم النبي ﷺ ـ عند الوفاة ـ أضر من قرناء السوء؟، ولم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد.

المفسد الثاني: كثرة الأماني:

وهو بحر لا ساحل له، وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم كما قيل: إن المنى رأس مال المفاليس وبضاعة ركابه مواعيد الشياطين، وخيالات المحال والبهتان، فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة والخيالات الباطلة تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة، وهي بضاعة كل نفس مهينة خسيسة سفلية ليست لها همة تنال بها الحقائق الخارجية بل اعتاضت عنها بالأماني الذهبية، وكل بحسب حاله من متمن للقدرة والسلطان، وللضرب في الأرض والتطواف في البلدان، أو الأموال والأثمان أو للنسوان والمردان، فيمثل المتمني صورة مطلوبه في نفسه وقد فاز بوصلها والتذ بالظفر بها فبينا هو على هذه الحال، إذا استيقظ فإذا يده والحصير، وصاحب الهمة العالية أمانيه حائمة حول العلم والايمان والعمل الذي يقرب الى الله، ويدنيه من جواره، فأماني هذا إيمان ونور وحكمة، وأماني أولئك خدع وغرور.

المفسد الثالث : تعلق القلب بغير الله تعالى:

وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق فليس عليه أضر من ذلك، ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه، فإنه إذا تعلق بغير الله وَكَلَه الله إلى ما يتعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل، بتعلقه بغيره والتفاته إلى سواه، فلا على نصيبه من الله حصل ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[1].

فأعظم الناس خذلانا من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له مما تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت، وأوهن البيوت.

المفسد الرابع: كثرة الطعام:

والمفسد له من ذلك نوعان:

أحدهما: ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات، وهي نوعان: محرمات لحق الله، كالميتة والدم، ولحم الخنزير، وذي الناب من السباع والمخلب من الطير.

ومحرمات لحق العباد، كالمسروق والمغصوب والمنهوب، وما أخذ بغير رضا صاحبه، إما قهرا وإما حياء وتذمما.

---

(١) سورة مريم:٨١ - ٨٢.

والثاني: ما يفسده بقدره وتعدي حده، كالإسراف في الحلال، والشبع المفرط، فإنه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولتها، حتى يظفر بها، فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها، والتأذي بثقلها، وقَوَّى عليه مواد الشهوة، وطرق مجاري الشيطان ووسعها، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرقه، والشبع يطرقها ويوسعها، ومن أكل كثيرا شرب كثيرا، فنام كثيرا، فخسر كثيرا.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن، فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار، إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوءاتهما، والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق للمنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في المال والجاه»[1].

المفسد الخامس: كثرة النوم:

فإنه يميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل، ومنه المكروه جدا، ومنه الضار غير النافع للبدن، وأنفع النوم ما كان عند شدة الحاجة إليه، ونوم أول الليل أحمد وأنفع من آخره، ونوم وسط النهار أنفع من طرفيه، وكلما قرب النوم من الطرفين قل نفعه، وكثر ضرره، ولاسيما نوم العصر، والنوم

(١) إحياء علوم الدين: (٣/ ٨٠).

أول النهار إلا لسهران[1].

٥- إطلاق البصر إلى ما حرم الله سبحانه وتعالى:

فإنَّ من أطلق بصره في الحرام أظلم قلبه ومرض وأصبح فريسة للشيطان.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أكثر فساد القلب من تخليط العين، وما دام باب العين موثقا بالغض فالقلب سليم من كل آفة فإذا فتح الباب طار طائر وربما لم يعد»[2].

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فالنظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع، وفي هذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده.

---

(١) انظر هذه المفسدات في مدارج السالكين: (١/ ٤٨٩-٤٩٤).

(٢) المدهش: (١ / ٣٦٣).

(٣) سورة النور: ٣٠.

قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٌ بَلَغَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... كَمَبْلَغِ السَّهْمِ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتَرِ

وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا طَرْفٍ يُقَلِّبُهُ ... فِي أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

ومن آفات النظر: أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات، فيرى العبد ما ليس قادرا عليه ولا صابرا عنه، وهذا من أعظم العذاب، أن ترى ما لا صبر لك عن بعضه، ولا قدرة على بعضه.

قال الشاعر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر(١)

٦- غلبة الهوى على المرء:

فإن من غلبه الهوى وأصبح أسيراً له، وقدمه على مراد الله ومحبته وطاعته هلك في مستنقع الضلال والغي، ونال الخزي في الدنيا والآخرة والعياذ بالله

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن مخالفة الهوى مطردة للداء عن القلب والبدن ومتابعته مجلبة لداء القلب والبدن، فأمراض القلب كلها من

(١) انظر الجواب الكافي: (١/ ١٧٩-١٨٠).

متابعة الهوى، ولو فتشت على أمراض البدن لرأيت غالبها من إيثار الهوى على ما ينبغي تركه.

وقال أبو بكر الوراق رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: إذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق وأبغضهم»[2].

وقال الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «علل القلوب من اتباع الهوى، كما أن علل الجوارح من مرض البدن»[3].

٧- الغفلة عن مكائد وأبواب الشيطان:

للشيطان أبواب كثيرة يدخل بها على الإنسان وقد ذكر أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ بعضاً منها:

أ) الغضب والشهوة: والغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان، ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة.

ب) الحسد والحرص: فمهما كان العبد حريصا على كل شيء أعماه حرصه وأصمه، ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان، فإذا

---

(١) قال الذهبي في السير(١٦/ ٣٨٨): هوالإمام، المحدث، أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الوراق، توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين: (١/ ٤٨٢).

(٣) تفسير القرطبي: (١/ ١٣٩).

غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ لم يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكراً أو فاحشاً.

ج) **حب التزين من الأثاث والثياب والدار:** فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ، فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها، ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويسخره فيها طول عمره.

د) **الطمع في الناس:** لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين عن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده، فلا يزال يتفكر في صلة التودد والتحبب إليه، ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك.

هـ) **العجلة وترك التثبت في الأمور:** قال ﷺ:((**التأني من الله والعجلة من الشيطان**))[1] قال عز وجل:﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾[3]، وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة

والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل، والعجلة تمنع من ذلك.

---

(١) أخرجه أبو يعلى [٤٢٥٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢٠٢٧٠]، وحسنه الألباني في الصحيحة [١٧٩٥].

(٢) سورة الأنبياء: ٣٧.

(٣) سورة الإسراء: ١١.

و) **الدراهم والدنانير:** وسائر أصناف الأموال من العرض والدواب والعقار، فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان.

ز) **البخل وخوف الفقر:** فإن ذلك يمنع الإنفاق والتصدق، ويدعو إلى الادخار والكنز.

ح) **التعصب للمذاهب والأهواء:** والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا، فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية، فإذا خيل الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته، وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين.

ط) **حمل العوام على التفكر في ذات الله عز وجل وصفاته وفي أمور لا تبلغها حد عقولهم:** حتى يشككهم في أصل الدين، أو يمثل إليهم في الله خيالات يتعالى الله عنها، يصير أحدهم بها كافرا، أو مبتدعا، وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بزكاته وزيادة عقله.

ي) **سوء الظن بالمسلمين:** قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[1]، فمن حكم بشرٍّ على غيره بالظن

(١) سورة الحجرات: ١٢.

بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك، أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه، وينظر إليه بعين الاحتقار أو يرى نفسه خيرا منه[1].

٨- ترك محاسبة النفس:

إن النفس إذا لم تنضبط بضابط الشرع وتتقيد بقيوده انقلبت وأصبحت عدواً صائلاً على صاحبها؛ لأنها تأمره بالسوء.

قال تعالى حاكيا عن حال امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

قال عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: «لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ فنجَّاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، متعاصية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده»[3].

وقال المحاسبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل فساد القلب ترك محاسبة النفس، والاغترار بطول الأمل، فإذا أردت صلاح قلبك فقف مع الإرادة وعند الخواطر فخذ ما كان لله، ودع ما كان لغيره واستعن على قصر

---

(٢) انظر إحياء علوم الدين: (٣/ ٣٢-٣٦).

(٣) سورة يوسف: ٥٣.

(١) تفسير السعدي: (١/ ٤٠٠).

الأمل بدوام ذكر الموت»[1].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيت مشتتا للهم مبددا للقلب مثل شيئين:

أحدهما: أن تطاع النفس في طلب كل شيء تشتهيه، وذلك لا يوقف على حد فيه، فيذهب الدين والدنيا، ولا ينال كل المراد، مثل أن تكون الهمة في المستحسنات، أو في جمع المال، أو في طلب الرئاسة، وما يشبه هذه الأشياء. فيا له من شتات لا جامع له! يذهب العمر، ولا ينال بعض المراد منه.

الثاني: مخالطة الناس -خصوصًا العوام- والمشي في الأسواق، فإن الطبع يتقاضى الشهوات، وينسي الرحيل عن الدنيا، ويحب الكسل عن الطاعة والبطالة والغفلة والراحة، فيثقل على من ألف مخالطة الناس التشاغل بالعلم، أو بالعبادة، ولا يزال يخالطهم حتى تهون عليه الغيبة، وتضيع الساعات في غير شيء»[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن سائر أمراض القلب، تنشأ من جانب النفس، فالمواد الفاسدة كلها تنصب، ثم تنبعث منها إلى الأعضاء، وأول ما تنال القلب وقد اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها،

---

(٢) رسائل المسترشدين: (١/ ٦٣).

(٣) صيد الخاطر: (١/ ٣٢٧- ٣٢٨).

وتركها بمخالفتها والظفر بها[1].

٩- فحش الغذاء وأكل الحرام: فإنه يورث القلب القسوة والغفلة عن الله والبعد عنه.

قال أبوحامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما فحش الغذاء فإنه يُظْلِم القلب ويورث القسوة والبعد عن الله وطيب الغذاء ينور القلب ويورث الرقة والقرب من الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[2][3]».

١٠- طول الأمل ونسيان الموت: والغفلة عن الله تعالى والدار الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[4].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين: في حب الدنيا وطول الأمل**))[5].

ولطول الأمل سببان:

أحدهما: حب الدنيا.

الثاني: الجهل.

---

(١) انظر إغاثة اللهفان: (١/ ٧٤- ٧٥).

(٢) سورة البقرة: ١٧٢.

(٣) روضة الطالبين وعمدة السالكين: (١/ ١٢٧).

(٤) سورة الحجر: ١ - ٣.

(١) أخرجه البخاري [٦٤٢٠].

أما حب الدنيا: فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها.

وأما الجهل: فهو أن الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب[1].

قال الشيخ محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن الناس كلما ازدادوا في الرفاهية، وكلما انفتحوا على الناس؛ انفتحت عليهم الشرور، فالرفاهية هي التي تدمر الإنسان؛ لأن الإنسان إذا نظر إلى الرفاهية وتنعيم جسده؛ غفل عن تنعيم قلبه، وصار أكبر همه أن ينعم هذا الجسد الذي مآله إلى الديدان والنتن، وهذا هو البلاء، وهذا هو الذي ضر الناس اليوم، لا تكاد تجد أحداً إلا ويقول: ما قصرنا؟ ما سيارتنا؟ ما فرشنا؟ ما أكلنا؟ حتى الذين يقرءون العلم ويدرسون العلم، بعضهم إنما يدرس لينال رتبة أو مرتبة يتوصل بها إلى نعيم الدنيا وكأن الإنسان لم يخلق لأمر عظيم، والدنيا ونعيمها إنما هي وسيلة فقط لا تجعل المال أكبر همك، اركب المال، فإن لم تركب المال ركبك المال، وصار همك هو الدنيا.

إن الناس كلما انفتحت عليهم الدنيا، وصاروا ينظرون إليها، فإنهم يخسرون من الآخرة بقدر ما ربحوا من الدنيا[2].

---

(٢) انظر إحياء علوم الدين: (٤/ ٤٥٧).

(١) انظر شرح رياض الصالحين: (٢/ ٣٦-٣٧).

المطلب الرابع

علامات أمراض القلب

بعد بيان حقيقة أمراض القلب وأقسامها وأسبابها لا بد من ذكر أهم علامات أمراض القلب حتى تتم الفائدة المرجوة من هذا البحث.

العلامة الأولى: عدول القلب عن الأغذية النافعة إلى الأغذية الضارة، وعدوله عن دوائه النافع إلى دوائه الضار، وأفضل الأغذية غذاء الإيمان، وأفضل الأدوية دواء القرآن، وشر الأغذية الذنوب والمعاصي.

العلامة الثانية: عدم الشعور بأمراض القلب، وأشدها إعراض القلب عمّا خلق له من معرفة الله ومحبته، والشوق إلى لقائه، والإنابة إليه، وإيثار ذلك على كل شهوة، فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئا، ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا وملذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله والشوق إليه والأنس به، فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين[1].

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب، فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش، ومرض العين

(١) انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ٦٨).

أن يتعذر عليها الإبصار، وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله، وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره، وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه، والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه»[1].

العلامة الثالثة: تقديم ما تشتهيه النفس وتهواه على ما يحبه الله ويرضاه، فتجد صاحب القلب المريض لا يعظم أوامر الله ونواهيه.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة »[2].

العلامة الرابعة: أن لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة تألّم بورود القبيح عليه وتألّم لجهله بالحق بحسب حياته وما لجرح بميت إيلام[3].

العلامة الخامسة: زوال حلاوة الطاعة وعدم مرارة المعصية، والتباس الحلال بالحرام والحق بالباطل.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ : «إعراب القلوب أربعة أنواع، رفع، وفتح، وخفض، ووقف، فرفع القلب في ذكر الله، وفتح القلب في الرضاء عن الله، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله، ووقف

(١) إحياء علوم الدين: (٣/ ٦٢).
(٢) المرجع السابق: (٣ / ٦٣).
(٣) انظر إغاثة اللهفان: (١/ ٦٨- ٦٩).

القلب في الغفلة عن الله تعالى.

فعلامة الرفع ثلاثة أشياء: وجود الموافقة، وفقد المخالفة، ودوام الشوق.

وعلامة الفتح ثلاثة أشياء: التوكل والصدق واليقين.

وعلامة الخفض ثلاثة أشياء: العجب والرياء والحرص وهو مراعاة الدنيا.

وعلامة الوقف ثلاثة أشياء: زوال حلاوة الطاعة، وعدم مرارة المعصية، والتباس الحلال»[1].

العلامة السادسة: فقد القلب لعلامات الصحة التي مر ذكرها في علامات صحة القلب.

(١) منهاج العارفين: (١/ ١٠٤).

المبحث الثالث

علاج أمراض القلب

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : أهمية علاج أمراض القلب .

المطلب الثاني : أقسام علاج أمراض القلب .

المطلب الأول

أهمية علاج أمراض القلب

لعلاج القلب أهمية كبيرة في إزالة علله وأدوائه الخطيرة التي سبق ذكرها في المبحث السابق، وهي بمثابة السموم على الجسد، فلابد من معالجتها ومداواتها، وإلا تفاقم المرض واشتد، وقد يؤدي به إلى موت القلب وهلاكه، و شقاوة صاحبه في الدنيا والآخرة.

لهذا كان لزاما على العبد المسلم أن يسارع إلى أمراض قلبه بالعلاج إذا ما وجد في قلبه شيئا منها؛ حتى يسلم قلبه وينجو و ينال سعادة الدنيا والآخرة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ((**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**))[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: ((**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل**))[2].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ:((**إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله**))[3]

وعن أسامة بن شريك، قال: قالت الأعراب: يا رسول الله،

(١) أخرجه البخاري [٥٦٧٨].

(٢) أخرجه مسلم [٢٢٠٤].

(٣) أخرجه أحمد [٣٥٧٨]، وصححه الألباني في الصحيحة [٤٥١].

ألا نتداوى؟ قال: ((**نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو قال: دواء إلا داء واحدا**)) **قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: ((الهرم))**[1].

وهذا يعم أدواء القلب والروح والبدن.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعموم هذا الحديث يقتضي: أن جميع الأمراض الباطنة والظاهرة لها أدوية تقاومها، تدفع ما لم ينزل، وترفع ما نزل بالكلية، أو تخففه.

وفي هذا: الترغيب في تعلم طب الأبدان، كما يتعلم طب القلوب، وأن ذلك من جملة الأسباب النافعة»[2].

والقلب لا ينبت الأعمال الصالحة إلا بعد تنقيته من عيوبه وتطهيره من الصفات الذميمة، كالغل والحسد والكبر والعجب والرياء والشهوات الردية، وغير ذلك مما هو منبت الفواحش ومغارس أعمال السوء، كما أن الأرض إذا غلب عليها منابت السوء مثل الشوك لم تصلح للزرع إلا بعد قلع تلك المؤذيات من الأرض وتنقيتها منها، فإن بذر فيها، وهي على هذه الحالة كان الزارع في ذلك مضيعا تعبه، وخسر بذره فلا نفع يعود عليه.

(١) أخرجه الترمذي [٢٠٣٨]، وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجة[٣٤٣٦].
(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار: (١/ ١٤٧).

المطلب الثاني

أقسام علاج أمراض القلب

ينقسم علاج أمراض القلب إلى قسمين:

علاج عام: ويتضمن بعض العلاجات العامة لجميع أمراض القلب.

وعلاج خاص: ويتضمن بعض العلاجات المفصلة لبعض أمراض القلب.

وسأقتصر على علاج أهم الأمراض التي ذكرها أهل العلم وشخصوا علاجها.

القسم الأول: العلاجات العامة:

هناك علاجات عامة تصلح لعلاج جميع أمراض القلوب وهي:

أولاً: العلاج بالقرآن الكريم ويتضمن أموراً:

أحدها: منزلة القرآن الكريم في شفاء الأمراض القلبية.

للقرآن الكريم أعظم الأثر وأشرف المنزلة في الشفاء من أمراض القلوب، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء: ٨٢.

(٢) سورة يونس: ٥٧.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن شفاء لما في الصدور ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات، ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة؛ ما يوجب صلاح القلب فيرغب القلب فيما ينفعه، ويرغب عما يضره فيبقى القلب محبا للرشاد مبغضا للغي بعد أن كان مريدا للغي مبغضا للرشاد، فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة؛ حتى يصلح القلب فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي، ويغتذي القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يغتذي البدن بما ينميه ويقومه، فإن زكاة القلب مثل نماء البدن»(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « فهو[أي القرآن] شفاء للقلوب من داء الجهل، والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع، ولا أعظم، ولا أسرع في إزالة الداء من القرآن»(٢).

وقال إبراهيم الخواص رَحِمَهُ اللَّهُ: دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين(٣).

(١) مجموع الفتاوى:(١٠/ ٩٦).
(٢) تفسير ابن القيم: (١/ ٣٦٣).
(٣) ذم الهوى: (١/ ٧٥).

وكذلك هناك خصوصية لبعض سور وآيات القرآن في شفاء القلوب والأبدان كما جاء في فضل فاتحة الكتاب وأن بها شفاء للقلب وشفاء للبدن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأما اشتمالها على شفاء القلوب-يعني سورة الفاتحة_ فإنها اشتملت عليه أتم اشتمال، فإن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: **فساد العلم وفساد القصد**، ويترتب عليهما داءان قاتلان وهما **الضلال والغضب**، فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال ولذلك كان سؤال هذه الهداية أفرض دعاء على كل عبد وأوجبه عليه كل يوم وليلة في كل صلاة، لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه. والتحقق بـ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1]، علما ومعرفة وعملا وحالا: يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد، ثم إن القلب يعرض له مرضان عظيمان إن لم يتداركهما العبد تراميا به إلى التلف وهما: الرياء والكبر، فدواء الرياء بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ودواء الكبر بـ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[2] عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم،

(١) سورة الفاتحة:٥.

(٢) سورة الفاتحة: ٦.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[1] وهم أهل فساد القصد، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[2]، وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه وحق لسورة تشتمل على هذين الشفاءين أن يستشفى بها من كل مرض[3].

ثانياً: أسباب الانتفاع بالقرآن الكريم.

١-حضور القلب وجمعيته عند التلاوة، والسماع للقرآن العظيم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[4].

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفا على مؤثر مقتض ومحل قابل وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية ـ أعلاه ـ بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد بقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ إشارة إلى ما تقدم أول السورة إلى ههنا، وهذا هو المؤثر وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل والمراد

---

(١) سورة الفاتحة: ٧.

(٢) سورة الفاتحة: ٧.

(٣) انظر مدراج السالكين:(١/ ٦٣-٦٦).

(٤) سورة ق: ٣٧.

به القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[1]، أي حي القلب ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي وجّه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام، وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي شاهد القلب حاضر غير غائب ـ إلى أن قال ـ فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي ووجد الشرط وهو الإصغاء وانقضى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر»[2].

٢- التدبر والتفهم لمعاني القرآن.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه»[4].

---

(١) سورة يس: ٦٩ـ ٧٠.

(٢) الفوائد: (١/ ٣).

(٣) سورة محمد: ٢٤.

(٤) مدارج السالكين: (١/ ٤٨٥).

٣- تحقق الشروط وانتفاع الموانع.

العبادت لا تكون مقبولة عند الله تعالى إلا بعد توفر شروط القبول كالإخلاص لله تعالى، ومتابعة النبي ﷺ، وانتفاء الموانع كغفلة القلب وعدم جمعيته في العبادة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، فكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة في إزالة الداء»[1].

ثانياً: الذكر:

الذكر من أنفع العلاجات، وكذلك من أنفع الأساليب الوقائية خصوصا للقلب المريض والقلب القاسي، وله فوائد عديدة في صلاح القلب وإصلاحه.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا

(١) الجواب الكافي: (١ / ٥-٦).

بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[1].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيرها: «أي حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك»[2].

وعن المعلى بن زياد قال: قال رجل للحسن: يا أبا سعيد أشكو إليك قساوة ، قال الحسن: أذبه بالذكر[3].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله؛ لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة، اشتدت به القسوة فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، وأن الذكر شفاء القلب ودواؤه والغفلة مرضه فالقلوب مريضة، وشفاؤها في ذكر الله تعالى[4].

ثالثاً: الدعاء:

الدعاء من أعظم العلاجات القوية النافعة لدفع الأمراض وعلاجها، وخصوصا أمراض القلب، وهو من أقوى الأسباب في

---

(١) سورة الرعد: ٢٨.

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٤١٧).

(٣) الحدائق في علم الحديث والزهديات: (٣/ ٢٩٥).

(٤) انظر الوابل الصيب: (١/ ٧٠)٠

دفع المكروه وحصول المطلوب.

قال ابن القيم : «والدعاء من أنفع الادوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن»(٥).

فعلى العبد المؤمن دائماً أن يدعو ربه بصلاح وسلامة القلب، وأن يجنبه أمراضه، وقد جاء في الكتاب والسنة ما يدل على هذا.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾(٦).

وقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾(٧).

في الآية الأولى الدعاء بالسلامة من مرض الغل، وفي الآية الثانية الدعاء بالسلامة من زيغ القلب.

ومما ورد في السنة من ذلك حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **((يا شداد بن أوس! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فأكثر هؤلاء الكلِمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمرِ، والعزيمة على الرُّشد، وأسألك موجبات رحمتك،**

(١) الجواب الكافي:(١/ ٧).
(٢) سورة الحشر: ١٠.
(٣) سورة آل عمران: ٨.

وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتِك، وحسن عبادتك، أسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرُك لما تعلمُ؛ إنك أنت علامُ الغيوب))[1].

و عَنْ أَنَس ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: **((يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ))**[2].

وكان ﷺ يقول: **((اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها))**[3].

رابعاً: الالتزام بالعلم النافع والعمل الصالح:

فلا تقع هذه الأمراض في القلب إلا بسبب نقصان العلم والعبادة، فيقع إما بالشبهات أو الشهوات، فبالعلم تعالج وتدفع الشبهة مع اليقين الجازم، وبالعمل الصالح تدفع الشهوة مع الصبر عليها.

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير [٧١٣٥]، وصححه الألباني في الصحيحة [٣٢٢٨].

(٢) أخرجه الترمذي [٢١٤٠]، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد [٥٢٨/ ٦٨٣].

(٣) أخرجه مسلم [٢٧٢٢].

وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فبالصبر تُترك **الشهوات** وباليقين تُدفع **الشبهات**»[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهى أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات.

وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما، ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى.

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهى فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال ولا ينُجى من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه فى دِقِّ الدين وجِلِّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأى على الشرع، والهوى على

(١) سورة السجدة: ٢٤.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: (١/ ٢٠).

العقل فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة[1].

وقال أيضا: «فأما طب القلوب، فمُسلّم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم وعلى أيديهم، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها، وفاطرها، وبأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه، متجنبة لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم، فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية، وصحتها وقوتها، وحياة قلبه وصحته، وقوته عن ذلك بمعزل، ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه، فإنه من الأموات، وعلى نوره، فإنه منغمس في بحار الظلمات»[2].

خامساً: العلاج بالضد ومخالفة المرض:

من العلاجات العامة المهمة لأمراض القلوب الاتصاف بأضدادها، والبعد عن أسبابها.

مثال ذلك إذا كانت نفسه مريضة بالبخل ألزمها الإنفاق وكثرة الصدقات، وإذا كانت نفسه مريضة بالعجب قام عليها بالتأنيب ومعرفة قدرها بأن أولها نطفة مذرة، وآخرها جيفة قذرة، وهكذا في بقية الأمراض يستخدم معها العلاج بالضد.

---

(١) انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: (١/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: (٣/ ١٣٦).

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة المرض لا تعالج إلا بضدها، فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها؛ فيعالج مرض الجهل بالتعلم، ومرض البخل بالتسخي، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا، وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى، فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد» [1].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن الواجب الاحتماء عن سبب المرض قبل حصوله وإزالته بعد حصوله، فهكذا أمراض القلب يحتاج فيها إلى حفظ الصحة ابتداء وإلى إعادتها - بأن عرض له المرض - دواما والصحة تحفظ بالمثل، والمرض يزول بالضد، فصحة القلب تحفظ باستعمال أمثال ما فيها أو هو ما يقوي العلم والإيمان من الذكر والتفكر والعبادات المشروعة وتزول بالضد فتزال الشبهات بالبينات وتزال محبة الباطل ببغضه ومحبة الحق»[2].

(١) إحياء علوم الدين: (٣/ ٦٢).

(٢) مجموع الفتاوى: (١٠ / ٨٨-٨٩).

سادساً: المجاهدة والرياضة على ترك جميع الأمراض وأسبابها:

لا بد من ضبط الشهوات بضابط الشرع؛ لأن الشهوات عموما وضعها الله لحكمة عظيمة وغاية جليلة، فيجب على الإنسان أن يروض شهوته، وقوته على طاعة الله.

وعلى الإنسان إذا ما أراد أن يعالج عيوب نفسه وأمراض قلبه أن لا يأتي إليها بطريقة الاستئصال مباشرة بل يأتي بالمجاهدة والمحاسبة قدر المستطاع، وبدفع الخواطر والشبهات من قلبه بسلاح العلم والمعرفة.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: «ومن عيوبها-أي النفس- أَنَّهَا تألف الخواطر الرَّديئَة فتستحكم عَلَيْهَا المخالفات.

ومداواتها: ردُّ تِلْكَ الخواطر فِي الِابْتِدَاء؛ لِئَلَّا تستحكم وَذَلِكَ بِالذكر الدَّائِم وملازمة الْخَوْف بِالْعلم أَن الله يعلم مَا فِي سرّك كَمَا يعلم الْخلق مَا فِي علانيتك فتستحي مِنْهُ أَن تصلح لِلْخَلقِ مَوضِع نظرهم وَلَا تصلح مَوضِع نظر الْحق وسمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الحسن العلوي صاحب إبراهيم الخواص سمعت إبراهيم يقول: أول الذنب الخطرة، فإن تداركها صاحبها بالكراهية وإلا صارت وسوسة، فإن تداركها صاحبها بالمجاهدة، وإلا هاج منها الشهوة مع طلب الهوى فتصد العقل والعلم والبيان»[1].

وكذلك مما ينبغي التأكيد عليه حفظ الجوارح، ومجاهدتها على عدم العصيان لله تعالى، والمرابطة عندها فإنها كالسواقي إلى القلب.

(١) عيوب النفس: (١/ ١٠-١١).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن الجوارح كالسواقي توصل إلى القلب الصافي والكدر، فمن كفها عن الشر جلت معدة القلب بما فيها من الأخلاط فأذابتها وكفى بذلك حمية، فإذا جاء الدواء صادف محلا قابلا.»[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأول ما يطرق القلب الخطرة، فإن دفعها استراح مما بعدها، وإن لم يدفعها قويت فصارت وسوسة، فكان دفعها أصعب فإن بادر ودفعها وإلا قويت وصارت شهوة، فإن عالجها وإلا صارت إرادة فإن عالجها وإلا صارت عزيمة، ومتى وصلت إلى هذه الحال لم يمكن دفعها واقترن بها الفعل ولا بد وحينئذ ينتقل العلاج إلى أقوى الأدوية وهو الاستفراغ التام بالتوبة النصوح، ولا ريب أن دفع مبادئ هذا الداء من أوله أيسر وأهون من استفراغه بعد حصوله إن ساعد القدر وأعان التوفيق، وإن الدفع أولى به وإن تألمت النفس بمفارقة المحبوب فليوازن بين فوات هذا المحبوب الأخس المنقطع النكد المشوب بالآلام والهموم، وبين فوات المحبوب الأعظم الدائم»[2].

سابعاً: التوسط في المباحات وعدم الإسراف فيها:

أباح الله سبحانه وتعالى أشياء كثيرة، وأوجب الله علينا شكرها، وحذرنا من الإسراف فيها حتى لا تصل إلى حد المحظور، وأرشدنا إلى التوسط فيها، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ

(١) التبصرة: (٢/ ٢١٩).

(٢) التبيان في أقسام القرآن: (١/ ٤٢٠).

وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «والمعنى، لا تمسك يدك عن البذل كلَّ الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك، وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ في الإعطاء والنفقة فَتَقْعُدَ مَلُوماً تلوم نفسك ويلومك الناس»[2].

فالتوسع في المباحات سبب قوي في حصول أمراض القلب، وخروجه عن اعتداله، وخصوصا كثرة الطعام والشراب، وكثرة الكلام والمنام والجماع وكثرة الخلطة، فإنها من الأسباب الخطيرة في إفساد القلب إذا وصلت إلى حد الفضول وخرجت عن حد الاعتدال.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ففضول المباح التي لا تعين على الطاعة عدمها خير من وجودها إذا كان مع عدمها يشتغل بطاعة الله فإنها تكون شاغلة له عن ذلك، وأما إذا قدر أنها تشغله عما دونها فهي خير له مما دونها، وإن شغلته عن معصية الله كانت رحمة في حقه وإن كان اشتغاله بطاعة الله خيرا له من هذا وهذا»[3].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى، متوقفا على جمعيته على الله، ولَمّ شعثه بإقباله

(١) سورة الإسراء: ٢٩.
(٢) زاد المسير: (٣/ ٢١).
(٣) جامع الرسائل: (٢/ ٨٠).

بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لا يُلمّه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثا، ويشتته في كل واد ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى»[1].

ثامناً: مجالسة الصالحين:

من أعظم الأدوية النافعة للقلب مصاحبة ومجالسة أصحاب القلوب السليمة من العلماء والصالحين الذين يحيى القلب ويسعد بلزوم مجالسهم، فهم أطباء القلوب وورّاث النبوة.

فعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((**مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة**))[2] متفق عليه.

قال المهلب رحمه الله[3]: «فيه بركة مجالسة الصالحين، وأن فيها

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد: (٢/ ٨).

(٢) أخرجه البخاري [٤٣٥٥]، ومسلم [٨٢٦٢].

(٣) قال الذهبي في السير (١٧/ ٥٧٩): المُهَلَّبُ بنُ أَحْمَدَ بن أَبي صُفْرَةَ أَسيْد بن عَبْد الله الأَسَدِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ، المَرِيُّ، مُصَنِّفُ (شَرْحِ صَحِيْحِ البُخَارِيِّ) تُوُفِّيَ: فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلاَثِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ.

تذكارا لفعل الخير، وتنبيها على الازدياد من العمل الصالح، ولذلك أمر عليه السلام بمجالسة العلماء، ولزوم حلق الذكر، وشبه الجليس الصالح بالعطار إن لم يصبك من متاعه لم تعدم طيب ريحه. ألا ترى قول لقمان لابنه: يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء، وقال مرة أخرى: فلعل أن تصيبهم رحمة فتنالك معهم، فهذه ثمرة مجالسة أهل الفضل ولقائهم»[1].

وقال بعض السلف: «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»[2].

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال: (٤/ ٢٢).
(٢) ذم الهوى: (١/ ٥٧).

القسم الثاني
العلاج الخاص

مرض النفاق

النفاق من أمراض القلب الخطيرة التي تودي بصاحبها إلى المهالك والمعاطب، وهو مرض ناتج عن الشبهة وقد جاء ذمه والتحذير منه في الكتاب والسنة.

تعريف النفاق لغة: (نفق) النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه، ومتى حصل الكلام فيهما تقاربا.

فالأول: نفقت الدابة نفوقا: ماتت، ونفق السعر نفاقا، وذلك أنه يمضي فلا يكسد ولا يقف، وأنفقوا: نفقت سوقهم، والنفقة لأنها تمضي لوجهها، ونفق الشيء: فني يقال قد نفقت نفقة القوم.

وأنفق الرجل: افتقر، أي ذهب ما عنده.

وفرس نفق الجري، أي سريع انقطاع الجري.

والأصل الآخر النفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان. والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي خرج، ومنه اشتقاق النفاق، لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء، ويمكن أن الأصل في الباب واحد، وهو الخروج، والنفق: المسلك النافذ الذي يمكن الخروج منه[1].

تعريف النفاق اصطلاحاً: إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب[2].

(١) انظر مقاييس اللغة لابن فارس: (٥/ ٤٥٤-٤٥٥).

(٢) التعريفات للجرجاني: (١/ ٥٤٢).

الأدلة الشرعية على ذم النفاق:

قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: ٨-١٠.

(٢) سورة النساء: ١٤٢ - ١٤٥.

(٣) سورة الحديد: ١٣ - ١٥.

وقال الله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**)) متفق عليه[2].

وعن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي، مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**المؤمن، فيضع عليه كنفه إن الله يدني ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الْأَشْهَادُ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3][4].

---

(١) سورة التوبة: ٦٧- ٦٨.

(٢) أخرجه البخاري [٣٤]، ومسلم [٥٨].

(٣) سورة هود: ١٨.

(٤) أخرجه البخاري [٢٤٤١].

أقسام النفاق:

ذكر الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ أن النفاق ينقسم شرعا إلى قسمين:

أحدهما: **النفاق الأكبر**، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه. وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله فى الدرك الأسفل من النار.

والثاني: **النفاق الأصغر**، وهو نفاق العمل: وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك[1].

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: النفاق نوعان:

النوع الأول: **النفاق الاعتقادي**، وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وقد وصف الله أهله بصفات الشر كلها: من الكفر وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين لمشاركتهم في عداوة الإسلام - وهؤلاء موجودون في كل زمان ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر، فإنهم يظهرون الدخول فيه لأجل الكيد له ولأهله في الباطن.

وهذا النفاق ستة أنواع:

١ - تكذيب الرسول ﷺ.

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم: (٢/ ٤٨١).

٢ - تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣ - بغض الرسول ﷺ.

٤ - بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٥ - المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٦ - الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

النوع الثاني: **النفاق العملي** - وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يخرج من الملة ؛ لكنه وسيلة إلى ذلك وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر صار بسببه منافقا خالصًا.

والدليل عليه قوله ﷺ: ((**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**))[1] متفق عليه.

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير، وخصال شر، وخصال إيمان وخصال كفر ونفاق، ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك، وكان الصحابة يتخوفون من الوقوع فيه.

قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله

(١) أخرجه البخاري[٣٤]، ومسلم [٥٨].

ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه»[1].

الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

١ - أن النفاق الأكبر يخرج من الملة، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة.

٢ - أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

٣ - أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٤ - أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه، ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم، بخلاف النفاق الأصغر، فإن صاحبه قد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه[2].

خطورة النفاق:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلّى لعباده أمورهم، ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات،

(١) ذكره البخاري في صحيحه في باب (خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر): (١: ١٨).

(٢) انظر كتاب التوحيد: (١/ ٢٥-٢٩).

وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا، لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟!، وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟ ! وكم من علم له قد طمسوه؟ !، وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟ !، وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها؟ !، وكم عموا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟ !.

فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون، اتفقوا على مفارقة الوحي، فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون، درست معالم الإيمان في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، وأفلت كواكبه النيرة من قلوبهم فليسوا يحبونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وأفكارهم فليسوا يبصرونها، لم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله، ولم يرفعوا به رأسا، ولم يروا بالإعراض عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأسا، خلعوا نصوص الوحي عن سلطنة الحقيقة، وعزلوها عن ولاية اليقين، وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها منهم كمين بعد كمين لبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزيغ والخسران، والغل والكفران، فالظواهر ظواهر الأنصار، والبواطن

قد تحيزت إلى الكفار، فألسنتهم ألسنة المسالمين، وقلوبهم قلوب المحاربين رأس مالهم الخديعة والمكر، وبضاعتهم الكذب والختر، قد نهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها، وغلبت القصود السيئة على إراداتهم ونياتهم فأفسدتها، ففسادهم قد ترامى إلى الهلاك، فعجز عنه الأطباء العارفون من علقت مخالب شكوكهم بأديم إيمانه مزقته كل تمزيق، ومن تعلق شرر فتنتهم بقلبه ألقاه في عذاب الحريق، ومن دخلت شبهات تلبيسهم في مسامعه حال بين قلبه وبين التصديق، ففسادهم في الأرض كثير، وأكثر الناس عنه غافلون[1].

علامات المنافقين:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من علامات المنافقين التي جاءت في الكتاب والسنة:

١- الرياء والكسل عما أمروا به من أوامر الرحمن، فأصبح الإخلاص عليهم ثقيلا: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[2].

٢-التذبذب وعدم الاستقرار على الحق وأهله وترك الباطل وأهله فهم واقفون بين الجمعين، ينظرون أيهم أقوى وأعز قبيلا: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾[3].

(١) انظر مدارج السالكين: (١/ ٣٥٥-٣٥٧).

(٢) سورة النساء: ١٤٢.

(٣) سورة النساء: ١٤٣.

٣-يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن، فإن كان لهم فتح من الله، قالوا: ألم نكن معكم؟ وأقسموا على ذلك بالله جهد أيمانهم، وإن كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة نصيب، قالوا: ألم تعلموا أن عقد الإخاء بيننا محكم، وأن النسب بيننا قريب؟: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[١].

٤-يعجب السامع قول أحدهم لحلاوته ولينه، ويشهد الله على ما في قلبه من كذبه وميله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[٢].

٥-أوامرهم التي يأمرون بها أتباعهم متضمنة لفساد البلاد والعباد، ونواهيهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد، وأحدهم تلقاه بين جماعة أهل الإيمان في الصلاة والذكر والزهد والاجتهاد: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[٣].

٦-هم جنس بعضه يشبه بعضا، يأمرون بالمنكر بعد أن يفعلوه، وينهون عن المعروف بعد أن يتركوه، ويبخلون بالمال في

(١) سورة النساء: ١٤١.
(٢) سورة البقرة: ٢٠٤.
(٣) سورة البقرة: ٢٠٥.

سبيل الله ومرضاته أن ينفقوه: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1].

٧-نفورهم عن الحق وإعراضهم عن الكتاب والسنة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[2].

٨- اشتروا الكفر بالإيمان، ويزعمون التوفيق والإحسان: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾[3].

٩- الشبه والشكوك في قلوبهم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[4].

١٠-البعد عن حقيقة الإيمان!، والكذب وادعائهم للتحقيق والعرفان: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة: ٦٧.

(٢) سورة النساء: ٦١.

(٣) سورة النساء: ٦٢.

(٤) سورة النساء: ٦٣.

(٥) سورة النساء: ٦٥.

١١-تسبق يمين أحدهم كلامه من غير أن يعترض عليه، لعلمه أن قلوب أهل الإيمان لا تطمئن إليه، فيتبرأ بيمينه من سوء الظن به وكشف ما لديه، وكذلك أهل الريبة يكذبون، ويحلفون ليحسب السامع أنهم صادقون: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(١).

١٢-إظهار الإسلام وإبطان الكفر: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾(٢).

١٣-أحسن الناس أجساما، وأخلبهم لسانا، وألطفهم بيانا، وأخبثهم قلوبا، وأضعفهم جنانا، فهم كالخشب المسندة التي لا ثمر لها، قد قلعت من مغارسها فتساندت إلى حائط يقيمها، لئلا يطأها السالكون: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾(٣).

١٤- يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول، وينقرونها نقر الغراب، ويلتفتون فيها التفات الثعلب، ولا يشهدون الجماعة، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ

(١) سورة المنافقون: ٢.
(٢) سورة المنافقون: ٣.
(٣) سورة المنافقون: ٤.

عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1].

١٥-ما أكثرهم! وهم الأقلون، وما أجبرهم! وهم الأذلون، وما أجهلهم! وهم المتعالمون، وما أغرهم بالله! إذ هم بعظمته جاهلون: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴾[2].

١٦-إن أصاب أهل الكتاب والسنة عافية ونصر وظهور ساءهم ذلك وغمهم، وإن أصابهم ابتلاء من الله وامتحان يمحص به ذنوبهم، ويكفر به عنهم سيئاتهم أفرحهم ذلك وسرهم: ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[3].

١٧-كره الله طاعاتهم، لخبث قلوبهم وفساد نياتهم، فثبطهم عنها وأقعدهم، وأبغض قربهم منه وجواره، لميلهم إلى أعدائه، فطردهم عنه وأبعدهم، وأعرضوا عن وحيه فأعرض عنهم، وأشقاهم وما أسعدهم، وحكم عليهم بحكم عدل لا مطمع لهم في الفلاح بعده، إلا أن يكونوا من التائبين، فقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ

(١) سورة التحريم: ٩.
(٢) سورة التوبة: ٥٦.
(٣) سورة التوبة: ٥٠ - ٥١.

وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾[1].

١٨-صحبتهم شر وفساد، والبعد عنهم غنيمة ورشاد: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

١٩-ثقلت عليهم النصوص فكرهوها، وأعياهم حملها فألقوها عن أكتافهم ووضعوها، وتفلتت منهم السنن أن يحفظوها فأهملوها، وصالت عليهم نصوص الكتاب والسنة فوضعوا لها قوانين ردوها بها ودفعوها: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[3].

٢٠-يرون النصوص حائلة بينهم وبين بدعتهم وأهوائهم، فهي في وجوههم كالبنيان المرصوص، واستبدلوا منها بالفصوص فأعقبهم ذلك أن أفسد عليهم إعلانهم وإسرارهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[4].

٢١-أسرَّوا سرائر النفاق، فأظهرها الله على صفحات الوجوه

(١) سورة التوبة: ٤٦.
(٢) سورة التوبة: ٤٧.
(٣) سورة محمد: ٩.
(٤) سورة محمد: ٢٦ - ٢٨.

منهم، وفلتات اللسان، ووسمهم لأجلها بسيماء لا يخفون بها على أهل البصائر والإيمان، وظنوا أنهم إذ كتموا كفرهم وأظهروا إيمانهم لا يفضحهم ويخرج أضغانهم: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1].

٢٢- زرع النفاق ينبت على ساقيتين: ساقية الكذب، وساقية الرياء، ومخرجهما من عينين: عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة، فإذا تمت هذه الأركان الأربع استحكم نبات النفاق وبنيانه، ولكنه بمدارج السيول على شفا جرف هار، فإذا شاهدوا سيل الحقائق يوم تبلى السرائر، وكشف المستور وبعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور؛ تبين حينئذ لمن كانت بضاعته النفاق أن حواصله التي حصلها كانت كالسراب: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[2].

٢٣-قلوبهم عن الخيرات لاهية، وأجسادهم إليها ساعية، والفاحشة في فجاجهم فاشية، وإذا سمعوا الحق كانت قلوبهم عن سماعه قاسية، وإذا حضروا الباطل وشهدوا الزور انفتحت أبصار قلوبهم، وكانت آذانهم واعية.

٢٤-إذا عاهدوا لم يفوا، وإن وعدوا أخلفوا، وإن قالوا لم

(١) سورة محمد: ٢٩ - ٣٠.

(٢) سورة النور: ٣٩.

ينصفوا، وإن دعوا إلى الطاعة وقفوا، وإذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدفوا، وإذا دعتهم أهواؤهم إلى أغراضهم أسرعوا إليها وانصرفوا ، فلا تثق بعهودهم، ولا تطمئن إلى وعودهم، فإنهم فيها كاذبون، وهم لما سواها مخالفون: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1][2].

علاج النفاق:

١-التوبة إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا يعم النفاق الأكبر والأصغر؛لأن المنافق نفاقا أكبر ما له علاج إلا بالتوبة النصوح والبراءة من الكفر والنفاق.

٢-مراقبة الله تعالى في السر والعلانية.

٣- الإخلاص لله في جميع الأعمال والأقوال

٤- الخوف من النفاق.

٥-الإكثار من الأدعية من سؤال الله الهداية، والاستعاذة به من النفاق.

فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو، يَقُولُ: ((**اللهمَّ إِنِّي**

(١) سورة التوبة: ٧٥ – ٧٧.

(٢) انظر مدارج السالكين: (١/ ٣٥٩-٣٦٧).

أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ، وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ، وَالْجُنُونِ، وَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ، وَسَيِّيءِ الْأَسْقَامِ))[1]

٦- استحضار خطر النفاق والمنافقين، فإذا استحضر المؤمن النصوص الواردة في حقّ المنافقين، وما أعدّه الله لهم من الفضيحة في الدنيا، والنكال في عالم البرزخ، والعذاب في الآخرة، والطرد من رحمة الله، والخلود في النار ، قاده ذلك إلى بُغض مسلكهم وطريقتهم، فيحميه الله من شرّهم، ويُنجيه من مهلكتهِم.

٧-الاعتصام بحبْل الله تعالى واتِّباع أوامره، واجتناب نواهيه.

٨-الإيمان الجازِم الذي لا يساوره شكٌّ في أنَّ ما عند الله باقٍ، والدنيا فانية.

٩-حبُّ المؤمنين الصالحين ومخالطتهم، فمَن أحبَّ قومًا صار منهم.

١٠-تجنُّب الخِصال التي اتصف بها المنافقون والتي ذكَرَها الله في كتابه ونبيُّه ﷺ في سُنته.

١١-الصلاة بخشوع وفي جماعة.

١٢-الوفاء بالعهْد، وعدم الغدر، وأداء الأمانة وحُسْن الخلق.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه [١٠٢٣]، وصححه شعيب الأرنؤوط.

١٣-كثرة ذكر الله وقراءة القرآن، فما نافق من نافق، إلا بسبب مرض الغفلة والبُعد عن الله تعالى، وهذه الغفلة تولّدت من قلّة ذكر الله سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:« إن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل، قال الله عز وجل في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١] وقال كعب: من أكثر ذكر الله عز وجل برئ من النفاق»[٢].

١٤- تعميق شجرة الإيمان في النفوس، فالإيمان والنفاق ضدّان لا يجتمعان.

١٥- التزوّد بالعمل الصالح الذي يُزكّي نفسه، ويُطهّر روحه، فتخبو جمرة النفاق حتى تنطفئ.

١٦- حب صحابة النبي ﷺ، من أعظم طرق الوقاية من النفاق.

١٧- أن يتّصف بالصدق، فإنه أشدّ العلامات ظهوراً للإيمان ومنافاةً للنفاق، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق هو الصدق؛ فإن أساس النفاق الذي بُني عليه الكذب»[٣].

(١) سورة النساء: ١٤٢.
(٢) الوابل الصيب: (١/ ٨٠).
(٣) مجموع الفتاوى: (١٠/ ١٢).

مرض الرياء

تعريف الرياء لغة: مصدر راءى يرائي مراءاة ورياء، وهو مأخوذ من مادّة (رأى) الّتي تدلّ على نظر وإبصار بعين أو بصيرة، يقال من ذلك: راءى فلان، وفعل ذلك رئاء النّاس (ورياء النّاس)، وهو أن يفعل شيئا ليراه النّاس[1].

تعريف الرياء اصطلاحاً: الرّياء: ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله فيه[2].

وقال أبوحامد الغزاليّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات، واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة وإظهارها، فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله»[3].

وقال ابن حجر الهيتميّ: «حدّ الرّياء المذموم: إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى، كأن يقصد اطّلاع النّاس على عبادته وكماله، فيحصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء»[4].

وقال أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحقيقة الرِّيَاء طلب ما في الدنيا بالعبادات، وأصله طلب المنزلة في قلوب النَّاس»[5].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: (٢/ ٤٧٣).
(٢) التعريفات للجرجاني: (١/ ١١٣).
(٣) إحياء علوم الدين: (٣/ ٢٩٧).
(٤) الزواجر: (١/ ٦٩).
(٥) أحكام القرآن: (٤/ ٤٥٤).

الفرق بين السمعة والرياء:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد وهو مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر»[1].

و الرياء العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم، ويدخل فيه أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس.

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «الشرك الأصغر، وهو ما ثبت بالنصوص تسميته شركا، لكنه لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، فهذا يسمى شركا أصغر مثل: الرياء والسمعة كمن يقرأ يرائي، أو يصلي يرائي، أو يدعو إلى الله يرائي ونحو ذلك»[2].

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «والرياء معناه: أن الإنسان يتصنّع أمام الناس بالتقوى، والعمل الصالح، وإتقان الصلاة، وغير ذلك، من أجل أن يمدحوه، فالرياء من الرؤية أن يحب الإنسان أن يراه الناس وهو يعمل العمل الصالح من أجل أن يمدحوه، والسُّمعة أن يحب الإنسان أن الناس يسمعون كلامه ويسمعون عمله ويمدحونه، فالرياء لما يُرى من الأعمال، والسُّمعة لما يسمع منها.

---

(١) فتح الباري: (١١/ ٣٣٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز: (١/ ٤٤).

والرياء شرك خفي؛ لأن الشرك على نوعين: شرك ظاهر وشرك خفي، الشرك الظاهر: الذي يتمثل في الأعمال والأقوال، بأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو يستغيث بغير الله، هذا ظاهر يراه الناس ويسمعونه، لكن هناك شرك خفي لا يدري عنه الناس، لأنه في القلب، لا يعلمه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، وهو الشرك في النيّة والإرادة، فالإنسان إذا سَلِم من الشرك الأكبر فإنه قد لا يسلم من الشرك الأصغر الذي يكون في القلوب، وهذا مما يُعطي المؤمن الحذر الشديد»[1].

أقسام الرياء:

ذكر أبوحامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الرياء بحسب ما يراءى به خمسة أقسام:

الأول: الرياء في الدين بالبدن، وذلك بإظهار النحول والصفار؛ ليوهم بذلك شدة الاجتهاد، وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة.

الثاني: الرياء بالهيئة والزي، وذلك بتشعيث شعر الرأس، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا، كل ذلك لإظهار أنه متبع للسنة.

الثالث: الرياء بالقول، ويكون من أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لإظهار غزارة العلم، ومن

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: (١/ ٩٦-٩٧).

ذلك تحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمامهم.

الرابع: الرياء بالعمل، وذلك كمراءاة المصلي بطول القيام والركوع والسجود ونحو ذلك.

الخامس: المراءاة بالأصحاب والزائرين، كأن يطلب المرائي من عالم أن يزوره ليقال: إن فلانا قد زار فلانا، ومن ذلك كثرة ذكر الشيوخ.

قال الغزالي: فهذه الخمسة هي مجامع ما يرائي به المراؤون، وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد[1].

درجات الرياء:

للرياء بحسب قصد المرائي أربع درجات:

الأولى: وهي أغلظها ألا يكون مراده الثواب أصلا، كالذي يصلي أمام الناس، ولو انفرد فإنه لا يصلي، وربما دفعه الرياء إلى الصلاة من غير طهر وهذا رياء المنافقين.

الثانية: أن قصده للثواب أقل من قصده لإظهار عمله، وهذا النوع قريب مما قبله في الإثم.

الثالثة: أن يتساوى قصد الثواب وقصد الرياء، بحيث إن أحدهما وحده لا يبعثه على العمل، ولكن لما اجتمع القصدان انبعثت فيه الرغبة في العمل، وهذا قد أفسد بمقدار ما أصلح، وظواهر

(١) انظر إحياء علوم الدين: (٣/ ٢٩٧-٢٩٩).

الأخبار تدل على أنه لا يسلم من العقاب.

الرابعة: أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه، ولو لم يكن ذلك ما ترك العبادة، وهذا النوع لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء، ويثاب على مقدار قصد الثواب[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن الرياء فيه تفصيل:

فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد، فعمله حابط وهو شرك أصغر، ويخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر.

وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضا بطلان هذا العمل.

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء»[2].

---

(١) انظر المرجع السابق بتصرف: (٣/ ٣٠١- ٣٠٢).

(٢) القول السديد في شرح كتاب التوحيد: (١ / ١٣٠).

خطورة الرياء:

والرياء من صفات المنافقين، يقول الله تعالى في المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

والله تعالى توعّد المرائين، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه))**[3].

وعن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال: **((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: ((الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة: إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))**[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ: **((أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل**

---

(١) سورة النساء: ١٤٢.

(٢) سورة الماعون: ٤ – ٦.

(٣) أخرجه مسلم [٢٩٨٥].

(٤) أخرجه أحمد [٢٣٦٣٠]، وصححه الألباني في الصحيحة [٩٥١].

أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذاك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله تعالى له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء فقد قيل ذاك))، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: **((يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة))**[1].

مضار الرياء:

١- الرياء محبط للأعمال مضيع لثوابها.

٢- الرياء سبب للمقت عند الله، والمرائي ملعون ومطرود من رحمة الله تعالى.

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٣٨٢]، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٢٢].

٣- الرياء من كبائر الذنوب وهومن المهلكات.

٤- الرياء دليل على غاية جهل المرائي.

٥- الرياء غصن من شجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوف والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم.

٦- الرياء يجلب الفقر ويعرض صاحبه للفتن.

٧- الرياء يفضح أصحابه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

٨- يضاعف الله عذاب المرائين من القراء فيجعلهم في جهنم وساءت مصيرا.

٩- الرياء يحول العمل الصالح إلى نقيضه فيحمل صاحبه به وزرا بدلا من أن يكون له أجرا أو يكون عليه سترا.

١٠- لا يسلم المرائي من أن يفتضح أمره في الدنيا فيسقط من أعين الناس وتذهب هيبته، ناهيك عن حسرته يوم القيامة.

١١- يظهر الله عيوب المرائي ويسمعه المكروه جزاء ما قدمت يداه[١].

علاج الرياء:

على الراغب في التخلص من الرياء أن يسلك هذه السبل في علاج نفسه منه، ومن ذلك:

(١) نضرة النعيم: (١٠ / ٤٥٦٧).

١- استحضار مراقبة الله تعالى للعبد: وهي منزلة الإحسان التي ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل، وهي: ((**أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك**))[١].

فمن استشعر مراقبة الله له في أعماله يهون في نظره كل أحد، ويوجب له ذلك التعظيم والمهابة لله تعالى.

٢- الاستعانة بالله تعالى على التخلص من الرياء: فالعبد لا يستطيع تحقيق الإخلاص والبعد عن الرياء إذا لم يعنه الله تعالى.

٣- معرفة آثار الرياء وجزاؤه الأخروي: حيث إن الجهل بذلك يؤدي إلى الوقوع أو التمادي فيه، فيعلم أن الرياء محبط للأعمال، وموجب لسخط الله، والعاقل لا يتعب نفسه بأعمال لا يكون له أجر عليها، فكيف إذا كانت توجب سخط الله وغضبه.

٤- النظر في عقوبة الرياء الدنيوية: وكما أن للرياء عقوبة أخروية، فكذلك له عقوبة دنيوية، وهي أن يفضحه الله تعالى، ويظهر للناس قصده السيئ، وهو أحد الأقوال في تفسير قَول النَّبِي ﷺ: **((مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي الله بِهِ))** متفق عليه[٢].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الخطابي: معناه من عمل عملا على غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه وقيل من قصد بعمله

(١) أخرجه البخاري [٥٠]، ومسلم [٨].
(٢) أخرجه البخاري [٦٤٩٩]، ومسلم [٢٩٨٦].

الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له في الآخرة»[1].

٥- إخفاء العبادة وعدم إظهارها: وكلما ابتعد الإنسان عن مواطن إظهار العبادة كلما سلم عمله من الرياء، ومن قصد مواطن اجتماع الناس حرص الشيطان عليه أن يظهر العبادة؛ لأجل أن يمدحوه ويثنوا عليه والعبادة التي ينبغي إخفاؤها هنا هي ما لا يجب أو يسن الجهر به كقيام الليل والصدقة وما أشبههما، وليس المقصود الأذان وصلاة الجماعة وما أشبههما مما لا يمكن ولا يشرع إخفاؤه وإخفاء العبادة في الأصل أعظم أجراً من إظهارها، كما بين الله تعالى أن إخفاء الصدقة أفضل من إظهارها، قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

كما حث النبي ﷺ على صلاة النافلة في البيت فقال: ((**صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**[3].

٦- مجاهدة النفس في الإخلاص لله تعالى، والبعد عن الرياء فالنفس تحب المدح والثناء فلا بد من مجاهدتها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا

(١) فتح الباري: (١١/ ٣٣٦).
(٢) سورة البقرة: ٢٧١
(٣) أخرجه البخاري [٧٣١].

﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1].

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ ما خلاصته: لا يستطيع أحد أن يقمع الرياء إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات، ويكون ذلك بأمرين:

الأول: قلع عروقه واستئصال أصوله وهي: لذة المحمدة والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس، وهذه الثلاثة راجعة إلى حب المنزلة والجاه.

الثاني: أن يشمر الإنسان عن ساعد الجد لدفع ما يعرض من خاطر الرياء، وخواطره ثلاثة أيضا وهي: العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم، ثم هيجان الرغبة من النفس في حمدهم، وحصول المنزلة عندهم، ويعقب ذلك هيجان الرغبة في قبول النفس له (أي الحمد والمنزلة)، والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه، والخاطر الأول يسمى معرفة، والثاني رغبة وشهوة، والثالث هو العزم وكمال القوة في دفع الخاطر الأول قبل أن يعقبه الثاني، فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال: مالي وللخلق علموا أو لم يعلموا، والله عالم بحالي فأي فائدة في علم غيره؟ فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد فعليه أن يذكر تعرض المرائي للمقت عند الله يوم القيامة وخيبته- في أحوج أوقاته- إلى أعماله، وعندئذ تثور عنده كراهة للرياء تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم[2].

---

(١) سورة النازعات: ٤٠- ٤١.

(٢) انظر إحياء علوم الدين: (٣/ ٣١٠- ٣١٤).

٧- تحقيق الطمع فيما عند الله واليأس مما عند الناس لأنه لا ينفعونه ولا يملكون له ضرا ولا نفعا فالأمر لله من قبل ومن بعد كما قال النبي ﷺ: ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**))[١].

٨- اتهام النفس، وأنها جاهلة ظالمة طبعها الكسل وحب الشهوات، وحب التصدر والظهور.

٩- معرفة الله وعظمته وقدرته وفضله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[٢].

١٠- الدعاء والاستعاذة بالله من مرض الرياء كما قال ﷺ: ((**أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم**))[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٥١٦]، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) سورة النور: ٢١.

(٣) أخرجه أحمد [١٩٦٠٦]، وابن أبي شيبة [٢٩٥٤٧]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٣٦].

مرض الكبر

إن الكبر من أخطر أمراض القلوب، وقد جاءت آيات قرآنية وأحاديث نبوية في ذم الكبر والمتكبرين، وذكر ما أعد الله لهم من العذاب الأليم، فعلى العبد المؤمن أن يتخلّص من هذا الداء القاتل.

تعريف الكِبر لغةً:

الكبر بالكسر: الكبرياء، والكبر العظمة والتّجبّر، والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا[1].

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: الكبر: العظمة، وكذلك الكبرياء. ويقال: ورثوا المجد كابرا عن كابر، أي كبيرا عن كبير في الشرف والعز. وعلت فلانا كبرة، إذا كبر. ويقال: أكبرت الشيء: استعظمته[2].

تعريف الكِبر اصطلاحاً: هو بطر الحقّ وغمط النّاس كما ورد في الحديث.

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكبر هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير»[3].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكبر: الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره»[4].

والآيات والأحاديث في ذم الكبر وسوء عاقبته كثيرة منها:-

(١) انظر لسان العرب لابن منظور الأندلسي: (٥/ ١٢٥-١٢٩).
(٢) مقاييس اللغة: (٥/ ١٥٤).
(٣) إحياء علوم الدين: (٣/ ٣٥٣).
(٤) فتح الباري: (١٠/ ٤٨٩).

قول الله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال ﷺ: ((إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس))**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: **((الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما، قذفته في النار))**[3].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ، قال: **((يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال))**[4].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من تواضع لله تخشّعا رفعه

---

(١) سورة النحل: ٢٩.

(٢) أخرجه مسلم [٩١].

(٣) أخرجه أبو داود [٤٠٩٠]، وابن ماجة [٤١٧٥]، وصححه الألباني في الصحيحة [٤٥١].

(٤) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن [٢٤٩٢]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٢٩١١].

الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظّما وضعه الله يوم القيامة»[1].

قال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ: «عجبا لابن آدم يتكبّر، وقد خرج من مجرى البول مرّتين»[2].

أسباب الكبر:

أسباب الكبر ثلاثة: سبب في المتكبر، وسبب في المتكبر عليه، وسبب يتعلق بغيرهما.

أما السبب الذي فى المتكبر: فهو العجب، والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد، والحسد، والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة.

العجب، والحقد، والحسد، والرياء.

أما العجب: فإنه يورث الكبر الباطن، والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال.

وأما الحقد: فإنه يحمل على التكبر من غير عجب، كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه، فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع.

وأما الحسد: فإنه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن

---

(١) الزهد لوكيع: [٢١٦].

(٢) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا: [٢٠١].

من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم، فكم من جاهل يشتاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه. فهو يعرض عنه ويتكبر عليه، مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه.

وأما الرياء: فهو أيضا يدعو إلى أخلاق المتكبرين، حتى إن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس: إنه أفضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد، ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه[1].

درجات الكبر:

الناس في مرض الكبر على درجات متفاوتة بحسب ما يقوم في القلب من دواعي الكبر.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون الكبر مستقرا في قلب الإنسان منهم، فهو

(١) انظر إحياء علوم الدين: (٣/ ٣٥٣، ٣٥٤).

يرى نفسه خيرا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه ﷺ، حين قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه كالدعاوى والمفاخرة، وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا.

وكذلك التكبر بالمال، والجمال، والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين الملوك والتجار ونحوهم والتكبر بالجمال أكثر ما يجري بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص والغيبة وذكر العيوب. وأما التكبر بالأتباع والأنصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين[2].

---

(١) سورة الحجر: ٨٨.

(٢) انظر مختصر منهاج القاصدين: (١/ ٢٢٩).

مضار الكبر:

إن للكبر مضار كثيرة منها أنه:

١- طريق موصل إلى غضب الله وسخطه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((**أربعة يبغضهم الله عز وجل: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر**))[٢].

٢- دليل سفالة النّفس وانحطاطها.

٣- يورث البعد عن الله والبعد عن النّاس، فعن عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**)) ، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: ((**المتكبرون**))[٣].

٤- الشّعور بالعزلة عن الناس وضيق النّفس وكثرة قلقها.

٥- اشمئزاز النّاس منه، وتفرّقهم عنه.

٦- استحقاق العذاب في النّار، فعن حارثة بن وهب رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ قال: ((**ألا أخبركم بأهل الجنة؟**)) قالوا: بلى، قال ﷺ: ((**كل**

---

(١) سورة لقمان: ١٨.

(٢) أخرجه أبوداود [٢٥٧٦]، وصححه الألباني في الصحيحة [٣٦٣].

(٣) أخرجه الترمذي [٢٠١٨]، وقال حديث حسن غريب، وصححه الألباني في الصحيحة [٧٩١].

ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره))، ثم قال: **((ألا أخبركم بأهل النار؟))** قالوا: بلى، قال: **((كل عتل جواظ مستكبر))**[1].

٧- من الأسباب الّتي تبعد المتكبّر عن طاعة الله عزّ وجلّ.

٨- جزاء المتكبّر الطّرد من رحمة الله، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم - قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم - ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر))**[2].

٩- المتكبّرون يصرفهم الله عزّ وجلّ عن آياته، فتعمى بصائرهم ولا يرون الحقّ[3].

علاج مرض الكبر:

١- معرفة عاقبة الكبر والمتكبرين، وأن مصيرهم إلى الهوان والعذاب الأليم.

٢- تذكر عظمة الله تعالى، وجلال حكمته، وعظيم قدرته، وأن الكبرياء من صفاته عز وجل، وتذكر ضعف الإنسان، وعجزه وافتقاره إلى ربه تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري [٤٩١٨]، ومسلم [٢٨٥٣]، (كل عتل جواظ مستكبر) العتل الجافي الشديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ وأما الجواظ فهو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وقيل الفاخر وأما المستكبر فهو صاحب الكبر.

(٢) أخرجه مسلم [١٠٧]، (والعائل هو الفقير).

(٣) نضرة النعيم: (١١/ ٥٣٨٠).

٣- استصحاب أخلاق المتواضعين، وتذكر سيرهم والتأدب بأدبهم، والوقوف على أحوالهم، ومعالجة قلوبهم في مقام التواضع الذي يحبه الله تعالى.

٤- أن يستشعر نعم الله عليه، ويتذكر مقامه بين يديه.

٥- أن يدرك المتكبّر أن الذي يتكبر عليه أو يسخر منه قد يكون خيراً منه عند الله.

٦- أن يتفكر في نفسه فينظر ما يدعوه إلى الكبر، ويقارنه بما يوجب عليه التواضع؛ حتى يصير التواضع له خلقاً، وله عدة أحوال:

أ / من كان يعتريه الكبر بسبب جماله، فدواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء، ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم، ومتى ما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدّر عليه تعزّزه بجماله، فإن الأقذار في جميع أجزائه، وفي أول أمره خلق من النطفة وفي بطن أمه يتغذّى بدم الحيض، وأخرج من مجرى البول مرتين، فهل يليق بمن هذه حاله الكبر والتعاظم؟!.

ب/ إن كان التكبّر بسبب القوة فالعلاج: أن يعلم أن القوة لله جميعاً، ويعلم ما سلط عليه من العِلل والأمراض، وأنه لو تألم له أصبع أو عرق من عروق بدنه لتألّم، وصار أعجز من كل عاجز، وأذل من كل ذليل، ثم إن من البهائم ما هو أقوى منه بكثير، فمن كانت هذه حاله فما يليق به الكبر.

ج/ إن كان التكبّر بسبب المال فالعلاج: أن يعلم أن المال عرض زائل، وأنه من الله أعطاه إياه واستخلفه عليه فقط، والمتكبّر بماله أو عقاره لو ذهب عنه ذلك لعاد في لحظةٍ ذليلاً حقيراً من أذلّ وأحقر الناس، وكل متكبّر بأمر خارج عن ذاته وصفاته فهو من أجهل الخلق.

د/ إن كان التكبّر بالعلم وهو أعظم الآفات فعلاجه: أن يعلم أن حجّة الله على أهل العلم آكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم، وأن من عصى الله على علمٍ ومعرفة أعظم جناية ممن عصى الله على جهل، وإذا تفكّر فيما أمامه من الخطر العظيم وعَلِمَ ما كان عليه السلف الصالح من التواضع والخوف من الله امتنع بإذن الله من الكبر.

هـ/ إن كان التكبّر بسبب المنصب فليعلم أن المنصب عرض زائل، فكما ذهب عن غيره سيذهب عنه ويصبح بلا منصب، وليس له أي قيمة، وسيتفرّق عنه أهل التزلف المحيطون به فيصبح وحيداً أعزل لا صديق له ولا رفيق.

و/ إن كان التكبّر بسبب أصله ونسبه، فأصله في الحقيقة طين وماء مهين، أمّا آباؤه وأجداده فما شرفوا إلا بصفاتهم وأخلاقهم وحسن أعمالهم، فإن فعل مثلهم فقد شرف بعمله لا بهم وإن انحطّ في صفاته وأخلاقه فما ينفعه كرم آبائه وشرف أجداده[1].

(١) انظر (الكبر أسبابه وعلاجه)، لمحمد عبدالله الحمود.

مرض العُجب

العجب من أمراض القلب الخطيرة، وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة في ذمه والتحذير منه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾[3].

وعن أنس رضي الله عنه أَن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: ((**ثَلاثُ مُهْلِكَاتٍ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ**))[4].

وعَن مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله قال: «لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلي من أن أبيت قائما فأصبح معجبا»[5].

تعريف العجب لغة: قال ابن منظور: «العجب: الزّهو، ورجل معجب: مزهوّ بما يكون منه _حسنا كان أو قبيحا_»[6].

وقال الفيروز آباديّ: «العجب بالضمّ: الزّهو والكبر»[7].

---

(١) سورة التوبة: ٢٥.

(٢) سورة الكهف: ١٠٤.

(٣) سورة فاطر: ٨.

(٤) أخرجه البزار [٧٢٩٣]، وحسنه الألباني في الصحيحة [١٨٠٢].

(٥) الزهد لابن المبارك: [٤٤٨].

(٦) لسان العرب: (١/ ٥٨٢).

(٧) القاموس المحيط: (١/ ١١٢).

تعريف العجب اصطلاحاً: هو استعظام النّعمة والرّكون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم عزّ وجلّ[1].

الفرق بين العجب والكبر:

ذهب كثير من العلماء إلى أنّه لا فرق بين الأمرين وأنّهما شيء واحد، ولكن ذهب المحقّقون إلى أنّ بينهما فرقا لأنّ الكبر خلق باطن يصدر عنه أعمال، وذلك الخلق هو رؤية النّفس فوق المتكبّر عليه، والعجب يتصوّر ولو لم يكن أحد غير المعجب، والمتكبّر يرى نفسه أعلى من الغير فتحصل له هزّة وفرح وركون له إلى ما اعتقده[2].

وقال الماورديّ: «الكبر يكون بالمنزلة، والعجب يكون بالفضيلة، فالمتكبّر يجلّ نفسه عن رتبة المتعلّمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدّبين»[3].

فتبين أن العجب قاصر والكبر متعدٍ، فشعور الإنسان بعظمة نفسه عجب، وتعاليه على غيره كبر.

وقال أبو هلال: «الفرق بين العجب والكبر، أنّ العجب بالشّيء شدّة السّرور به حتّى لا يعادله شيء عند صاحبه، يقال: هو معجب بنفسه إذا كان مسرورا بخصالها، ولهذا يقال أعجبه كما يقال:

(١) إحياء علوم الدين: (٣/ ٣٧٠).
(٢) انظر غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني: (٢/ ٢٢٢).
(٣) أدب الدنيا والدين: (١/ ٢٣٦).

سرّ به، وليس ذلك من الكبر في شيء»[1].

ونقل الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في السير عن أبي وهب المروزي قال: سألت ابن المبارك: ما الكبر؟ قال: أن تزدري الناس، فسألته عن العجب؟ قال: أن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئا شرا من العجب»[2].

وكلاهما من أدواء القلوب إلا أنَّ الكبر يستدعي متكبرًا عليه يرى نفسه فوقه وأعلا منه، بينما العجب استرواح للنفس، وركون إلى رؤيتها، ولا يستدعي غير المعجب به، بل لو لم يكن إلا وحده تُصور أن يكون معجبًا ولا يتصور أن يكون متكبرًا، والعجب يفضي إلى التكبر، والتكبر لا يكون إلا عن عجب إذ هو أثر من آثاره.

علامات العجب:

قال المحاسبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أعجب بِعَمَلِهِ لم ير لنَفسِهِ ذَنبا فيتوب مِنْهُ وَلم ير لنَفسِهِ تقصيرا فيقلع عَنهُ، وقد يؤدي العجب إلى الإدلال على الله تعالى، والإدلال أن يرى العبد أن له عند الله سبحانه وتعالى قدرا عظيما قد استحقه، واستحق الثواب عليه، مع الأمن من عقاب الله تعالى، وليس رجاء المغفرة مع الخوف إدلالا.

وللإدلال علامات:

١- أن يناجي ربه بإدلاله بعمله.

---

(١) الفروق اللغوية: (١/ ٢٤٨).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٧/ ٣٨٣).

٢- أن يستنكر أن ينزل به بلاء.

٣- أن يستنكر أن ينصر عليه غيره أو ترد دعوته مع كونه عاملاً بالعمل الذي استعظمه حتى حمله العجب والإدلال فما أجهل المدل على الله تعالى بعمله كيف يدل على ربه بإنعامه عليه وإحسانه إليه[١].

أسباب العجب:

١- الإطراء والمدح في الوجه، دون مراعاة للآداب الشرعية المتعلقة بذلك، فهناك فريق من الناس إذا أطري ومدح في وجهه اعتراه خاطر أنه ما مدح إلا لأنه يملك من المواهب ما ليس لغيره، وما يزال هذا الخاطر يلاحقه، ويلح عليه حتى يصاب بالإعجاب بالنفس وجاء في الحديث عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه: أن رجلا ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرا، فقال ﷺ: ((**ويحك، قطعت عنق صاحبك - يقوله مرارا - إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك، وحسيبه الله، ولا يزكي على الله أحدا**))[٢].

٢- صحبة المعجبين والإكثار من خلطتهم، فالصاحب ساحب كما قيل.

٣- استعظام واستكثار الخير والعلم والعمل الذي يوفق إليه العبد.

---

(١) انظر مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل للعز بن عبدالسلام: (١/ ١٣٠ -١٣٢).
(٢) أخرجه البخاري [٦٠٦١]، ومسلم [٣٠٠٠].

٤- قلة الورع والتقوى.

٥- الجهل بما يجب لله من حق.

٦- ضعف المراقبة لله عز وجل.

٧- قلّة الناصح.

٨- قلة الشكر لله عز وجل فمن شكر الله وأقر بالنعم، وشهد فضله وإحسانه لم يعجب بعمله.

٩- الأمن من مكر الله عز وجل، والركون إلى عفوه ومغفرته.

١٠- قلة ذكر الله عز وجل.

١١- الغفلة عن عيوب النفس وآفاتها.

مضارّ العجب:

١- العجب يؤدّي إلى الكبر وكفى به آفة.

٢- العجب يؤدّي إلى نسيان الذّنوب وتسويف التّوبة.

٣- العجب يؤدّي إلى التّقليل من الطّاعات والتّقصير فيها؛ لأنه ظن أنه على على جانب عظيم من الطاعة فلم يزدد منها.

٤- أكثر سعي المعجب بنفسه المدلّ بها سعي ضائع وغير مشكور، فالعُجْب يضيع عليه الأجر، ويوقعه بالإثم والوزر، كما قال

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[1].

٥- العجب يؤدّي إلى الغرور والتّعالي على النّاس ممّا يجعلهم يكرهونه.

٦- العجب بالرّأي يؤدّي إلى الإصرار على الخطأ والبعد عن الإفادة من مشورة المخلصين والعلماء النّاصحين.

٧- المعجب بنفسه يلقي بها إلى الهلاك ويحرمها من رضوان الله ومن ثمّ رضا النّاس[2].

علاج العجب:

قال الفقيه السمرقندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أراد أن يكسر العجب فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالى، فإذا رأى التوفيق من الله تعالى، فإنه يشتغل بالشكر، ولا يعجب بنفسه.

والثاني: أن ينظر إلى النعماء التي أنعم الله بها عليه، فإذا نظر في نعمائه اشتغل بالشكر عليها، واستقل عمله، ولا يعجب به.

والثالث: أن يخاف أن لا يُتقبَل منه، فإذا اشتغل بخوف القبول، لا يعجب بنفسه.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٢) انظر نضرة النعيم: (١١/ ٥٣٨٠).

والرابع: أن ينظر في ذنوبه التي أذنب، قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد قل عجبه، وكيف يعجب المرء بعلمه، ولا يدري ماذا يخرج من كتابه يوم القيامة، وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءة الكتاب»[1].

وذكر ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ علاجات مهمة للعجب منها:

١- التفكر في عيوب النفس، فإن أعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنية، والعاقل هو من ميز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه.

٢-أن يعلم يقيناً أنه لا يسلم إنسي من نقص، حاشا الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

٣-أن يتدارك نفسه بالبحث عن عيوبه والاشتغال بذلك عن الإعجاب بها وعن عيوب غيره التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة.

٤-إن أعجب بعقله، فليفكر في كل فكرة سوء تمر بخاطره وفي أضاليل الأماني الطائفة به، فإنه يعلم نقص عقله حينئذ.

٥-إن أعجب بآرائه، فليفكر في سقطاته وليحفظها ولا ينسها، وفي كل رأي قدره صواباً فخرج بخلاف تقديره، وأصاب غيره وأخطأ هو، فإنه إن فعل ذلك فأقل أحواله أن يوازن سقوط رأيه عن الصواب فيخرج لا له ولا عليه، والأغلب أن خطأه أكثر من

(١) تنبيه الغافلين: (١/ ٤٨٧).

صوابه وهكذا كل أحد من الناس بعد النبيين صلوات الله عليهم.

٦-إن أعجب بخيره فليفكر في معاصيه وتقصيره، وفي معايبه ووجوهها.

٧-إن أعجب بعلمه فليعلم أنه لا خصلة له فيه، وأنه موهبة من الله مجردة وهبه إياها ربه تعالى فلا يقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيه ذلك بعلة يمتحنه بها، ويتولد عليه نسيان ما علم وحفظ.

٨-إن أعجب بشجاعته فليفكر فيمن هو أشجع منه، ثم لينظر في تلك النجدة التي منحه الله تعالى فيما صرفها، فإن كان صرفها في معصية فهو أحمق؛ لأنه بذل نفسه فيما ليس بثمن لها، وإن كان صرفها في طاعة فقد أفسدها بعجب، ثم ليتفكر في زوالها.

٩-إن أعجب بجاهه في دنياه فليتفكر في مخالفيه وأنداده ونظائره، ولعلهم أخساء وضعاء سقاط فليعلم أنهم أمثاله فيما هو فيه ولعلهم ممن يستحيي من التشبه بهم لفرط رذالتهم وخساستهم في أنفسهم وفي أخلاقهم ومنابتهم، فليستهن بكل منزلة شارك فيها من ذكره له.

١٠-إن أعجب بماله، فلينظر في كل ساقط خسيس فهو أغنى منه، فلا يغتبط بحالة يفوقه فيها وليعلم أن عجبه بالمال حمق؛ لأنه أحجار لا ينتفع بها إلا بأن يخرجها عن ملكه بنفقتها في وجهها فقط والمال أيضاً غاد ورائح ، وربما زال عنه ووجده في يد غيره، ولعل ذلك يكون في يد عدوه، فالعجب بمثل هذا سخف والثقة به غرور وضعف.

١١-إن أعجب بحسنه فليفكر فيما عليه مما يُستحى من إثباته ويستحي هو منه إذا ذهب عنه بدخوله في السن.

١٢-إن أعجب بمدح إخوانه له، فليفكر في ذم أعدائه إياه، فحينئذ ينجلي عنه العجب، فإن لم يكن له عدو فلا خير فيه ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدو له، فليست إلا منزلة من ليس الله تعالى عنده نعمة يحسد عليها.

١٣-إن استحقر عيوبه فليفكر فيها لو ظهرت إلى الناس وتمثل اطلاعهم عليها، فحينئذ يخجل ويعرف قدر نقصه إن كانت له مسكة من تمييز.

١٤-إن أعجب بنسبه، فهذه أسوأ من كل ما ذكرنا، لأن هذا الذي أعجب به لا فائدة له أصلاً في دنيا ولا آخرة، ولينظر هل يدفع عنه جوعة أو يستر له عورة أو ينفعه في آخرته.

١٥-إن أعجب بقوة جسمه فليفكر في أن البغل والحمار والثور أقوى منه وأحمل للأثقال، وإن أعجب بخفته، فليعلم أن الكلب والأرنب يفوقانه في هذا الباب، فمن أعجب العجيب إعجاب ناطق بخصلة يفوقه فيها غير الناطق[1].

ومن أعظم علاجات العجب النظر في أمور الدين والآخرة إلى من هو فوقه، فإن أعجب بنفسه في علم أو عبادة فلينظر إلى من سبقه وتفوق عليه عندئذ يحتقر نفسه ويستصغر عمله.

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي بتصرف: (١/ ٣٨٦-٣٩٣).

مرض الشح
و البخل

الشح والبخل من أمراض القلوب الخطيرة التي يجب على العبد معالجتها وإزالتها، وجاءت الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة ذامة للبخل والشح، فالسلامة منهما سبب الفلاح في الدنيا والاخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: **((اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))**[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **((اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهرم، والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات))**[4].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((من سيدكم يا بني**

---

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٣) أخرجه مسلم [٢٥٧٨].

(٤) أخرجه البخاري [٤٧٠٧]، ومسلم [٢٧٠٦].

سلمة؟)) قلنا: جد بن قيس، على أنا نبخله، قال: ((وأي داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح)) ، وكان عمرو على أصنامهم في الجاهلية، وكان يولم عن رسول الله ﷺ إذا تزوج [1].

قال الشّعبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «ما أدري أيّهما أبعد غورا في جهنّم: البخل أو الكذب؟» [2].

تعريف البخل لغة: مصدر قولهم: بخل بالشّيء يبخل به، وهو مأخوذ من مادّة (ب خ ل) الّتي تدلّ على خلاف الكرم، والبخيل: ذو البخل، وجمعه بُخَّل وبخّال، وأبخلت الرّجل: وجدته بخيلا [3].

تعريف البخل اصطلاحا: قال الجرجانيّ: «البخل: هو المنع من مال نفسه، والشّحّ هو بخل الرّجل من مال غيره» [4].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البخل: منع ما يطلب ممّا يقتنى، وشرّه ما كان طالبه مستحقّا ولا سيّما إن كان من غير مال المسئول» [5].

وقال القرطبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البخل المذموم في الشّرع: هو امتناع

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: [٢٩٦]، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد[٢٢٧].

(٢) مساوئ الأخلاق للخرائطي: [١٢٣].

(٣) انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي: (١/ ٩٦٥)، ولسان العرب لابن منظور: (١١/ ٤٧).

(٤) التعريفات: (١/ ٤٢-٤٣).

(٥) فتح الباري: (١٠/ ٤٥٧).

المرء عن أداء ما أوجب الله تعالى عليه» [1].

وقال أيضا: «واختلف في البخل والشح، هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ فقيل: البخل الامتناع من إخراج ما حصل عندك والشح: الحرص على تحصيل ما ليس عندك، وقيل: إن الشح هو البخل مع حرص»[2].

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشح أبلغ في المنع من البخل وإنما الشح بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال البخل إنما هو في أفراد الأمور وخواص الأشياء، والشح عام وهو كالوصف اللازم للإنسان من قبل الطبع والجبلة»[3].

أسباب البخل:

إن للبخل أسباباً كثيرة أعظمها: حب المال وطول الأمل وضعف الثقة في فضل الله.

قال أبوحامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سببان: أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل، فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله، إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب، وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام

(١) الجامع لأحكام القرآن:(٥/ ١٩٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٤/ ٢٩٣).
(٣) معالم السنن: (٢/ ٨٣).

طول الأمل فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم، ولذلك قال ﷺ ((**الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة**))[1]، فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة.

قال الماورديّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «قد يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة- وإن كان ذريعة إلى كلّ مذمّة- أربعة أخلاق، ناهيك بها ذمّا وهي:

الحرص، والشّره، وسوء الظّنّ، ومنع الحقوق، وإذا آل البخيل إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المذمومة، والشّيم اللّئيمة لم يبق معه خير موجود ولا صلاح مأمول»[2].

درجات البخل:

قال ابن قدامة المقدسيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «اعلم أنّ السّخاء والبخل درجات: فأرفع درجات السّخاء الإيثار، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه، وأشدّ درجات البخل: أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة إليه، فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشّهوة فيمنعه منها البخل، فكم بين من بخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة، فالأخلاق عطايا يضعها الله- عزّ وجلّ- حيث يشاء»[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه [٥٢٨٤]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [١٩٩٠].

(٢) أدب الدنيا والدين: (١/ ١٨٥).

(٣) مختصر منهاج القاصدين: (١/ ٢٠٥).

مضار الشح والبخل:

١- لا يجتمع الإيمان والشح في قلب عبد أبدا، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا**))[١].

٢- الضرر يرجع على البخيل، فهو يشقى به في الدنيا قبل الآخرة قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[٢].

٣- أنه صفة من صفات الكفار والمنافقين، قال الله تعالى في وصف الكفار: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٣]، وقال تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[٤].

---

(١) أخرجه النسائي[٣١١٠]، والبخاري في الأدب المفرد [٢٨١]، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد [٢١٥].

(٢) سورة محمد: ٣٨.

(٣) سورة النساء: ٣٧.

(٤) سورة التوبة: ٧٥ – ٧٧.

٤- سبب لتلف المال، وزوال بركته، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا**))[1].

٥- الحرمان من الأجر المترتب على الإنفاق في أبواب الخير.

٦- كراهية الناس له، فهو مبغوض مكروه حتى من أقرب الناس إليه كزوجته وأبنائه وأقربائه بل قد يصل بهم الأمر إلى أن يدعوا عليه، ويتمنوا موته حتى يستطيعوا التنعم بما حرمهم من أموال.

٧- الوقوع في الإثم بسبب منعه لما يجب عليه من حقوق وواجبات.

٨- سبب لكشف عيوب المرء، وإظهارها للخلق، كما أشار إليه بعضهم بقوله:

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم جميعاً سخاؤه

تغط بأثـواب السخاء فإنني أرى كـل عـيـب فالسخاء غطاؤه

٩- ما ينتظر البخيل والشحيح من عقاب أخروي وطول حساب، خاصة إذا كان بخله قد أدى به إلى ترك ما فرض الله عليه من زكاة وإنفاق على من تجب نفقتهم عليه.

---

(١) أخرجه البخاري [١٤٤٢]، ومسلم [١٠١٠].

١٠- سبب للهلاك في الدنيا والآخرة كما جاء في الحديث **((واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))**[١].

١١- حمل النفس على الوقوع في أمراض القلوب الخطيرة، من الحسد والجهل والحرص والطمع وسوء الظن بالله تعالى وسفك الدماء والأموال والأعراض.

علاج البخل:

١-قال أبو عبد الرحمن السلمي: «ومن عيوبها-أي النفس- الشح والبخل وهما نتائج حب الدنيا، ومداواتها: أن يعلم أن الدنيا قليلة وأنها فانية وأن حلالها حساب وحرامها عذاب، وأن الله تعالى أخبر عنها أنها متاع الغرور فلا يبخل بها ولا يشح ويجتهد في بذلها ولا يمسك منها إلا مقدار ما يدافع به وقته»[٢].

٢-التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء، وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم.

٣- التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره، ويستثقل كل بخيل من أصحابه، فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٥٧٨].

(٢) عيوب النفس: (١/ ٣٠).

٤-أن يتفكر في مقاصد المال وأنه لماذا خلق؟ ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة وذلك بذله.

٥-أن يعرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة عندها تهيج رغبته في البذل إن كان عاقلا فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه[١].

٦- اليقين التام بما عند الله من الأجر والمثوبة والنعيم المقيم.

٧-الدعاء والتعوذ بالله من الشح والبخل.

٨-البعد والانسلاخ من الوسط المعروف بالشح والبخل، ومصاحبة أهل الجود والسخاء.

٩- محاسبة النفس ومجاهدتها وتزكيتها.

١٠-معرفة أن الإيحاء بالفقر والتخويف منه إنما هو وعد شيطاني، وأن وعد الله هو زيادة الفضل، يقول الله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[٢].

١١- صرف الهمة إلى عبادة المولى تبارك وتعالى، حتى لا ينشغل بعبادة المال والحرص عليه.

١٢- عدم الخوف على مستقبل الأولاد، والتيقن أنَّ من

(١) انظر إحياء علوم الدين: (٣/ ٢٦٢).

(٢) سورة البقرة: ٢٦٨.

خلقهم قد خلق أرزاقهم معهم، ولن يضيعهم، فكم من ولد لم يرث من والده مالًا صار أحسن حالًا ممن ورث الأموال الطائلة.

١٣- الإكثار من الصدقة، وإن كان ذلك ثقيلًا على النفس، وبذلك يعتاد على صفة الكرم والإنفاق، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالفقير الآخذ لصدقتك يستخرج منك داء البخل، كالحجام يستخرج منك الدم المهلك»[1].

١٤- معرفة أن المستقبل بيد الله إن شاء أغناك، وإن شاء أفقرك، وإن كنت أحرص الناس.

١٥- أن يحسن المرء الظن بالله عزَّ وجلَّ، وليعلم أنَّ الله الذي أمره بالإنفاق قد تكفَّل له بالزيادة.

١٦- النظر في النصوص التي تبين فضل الجود والكرم وعاقبته.

قال عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: قد أخبر الله في عدة آيات من كتابه أن القرآن شفاء من الأمراض وخصوصا الأمراض القلبية، وأنه رحمة تحصل به الخيرات والكرامات وبه تزول المكاره وبه تحصل المحاب، أخبر بذلك في عدة مواضع، وشرح الواقع المفصل لهذا الأمر في مواضع عند كلامه على التشريع وتفصيل الأوامر والنواهي، فصّل الأمراض القلبية وشخّصها وبيّن أضرارها ومفاسدها الكثيرة، وذكّر العباد كيف يسعون في إزالتها واختلاعها وتوجيهها إلى ما ينفع ولا يضر.

ولنذكر لهذا الأصل أمثلة يتضح بها الأمر:

---

(١) عدة الصابرين: (١/ ١١٦).

فمنها: أن الشح طبيعة نفسية ومرض داخلي في قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[1] وأن الإنسان مجبول على محبة المال وأنه لحب الخير لشديد وذلك يقتضي إمساكه من كل وجه، فهذا المرض موجود في كل النفوس البشرية، فتغلغل في الضمائر لكنه تعالى عالجه بعلاجات قوية نافعة، عالجه بقوة تقهر جميع القوى النفسية إذا تمت وهي قوة الإيمان، وبيَّن أن الإيمان يدعو المؤمنين إلى القيام بجميع حقوق الإيمان، وخصوصا الواجبات الكبار، والحقوق الضرورية كالنفقة في الزكاة والجهاد وعلى المحتاجين، وعلى من لهم حق على الإنسان، وأخبر في عدة آيات أن الإنفاق من حقوق الإيمان الكلية الكبار، وأنه لا يتم إيمان عبد حتى يؤدي الزكاة، وحتى ينفق النفقات المأمور بها، وأن من قوي إيمانه لا يتمادى معه خلق البخل والشح بل يأتي إنفاقه تبعا منقادا لداعي الإيمان، وهذا أقوى علاج لهذا الداء.

وعالج هذا الخلق أيضا بالترغيب المتنوع في النفقات في الثواب العاجل والآجل، ولم يزل يرغبهم في الإنفاق لكل وسيلة، ويخبرهم أن من أطاع الشح فقد أطاع الشيطان الذي يعد بالفقر ويخرج من القلب الثقة بالله والرحمة بعباد الله، وأن من أنفق فقد أطاع الله وحصلت له المغفرة الشاملة والرحمة العامة، والفضل والخير العاجل والبركة في الرزق، لم يزل يعالجهم لهذه الأدوية النافعة حتى انقادت نفوس المؤمنين راغبة طائعة مختارة مؤثرة ما عند الله مطمئنة بفضله[2].

---

(١) سورة النساء: ١٢٨.

(٢) انظر الرياض الناضرة:(١/ ١٤٢-١٤٤).

مرض الحسد

من أمراض القلب العظيمة الحسد، فإنه مرض خطير إذا ما استولى على قلب الإنسان أفسده، وقد جاءت الآيات من الذكر الحكيم في ذم الحسد والنهي عنه، وكذلك جاءت السنة المطهرة الصحيحة بالتحذير منه.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا))**[4].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((سيصيب أمتي داء الأمم))** فقالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: **((الأشر والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي))**[5].

---

(١) سورة النساء: ٥٤.

(٢) سورة الفلق: ٥.

(٣) سورة البقرة: ١٠٩.

(٤) أخرجه مسلم: [٢٥٦٣].

(٥) أخرجه الحاكم [٧٣١١]، وحسنه الألباني في الصحيحة [٦٨٠].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: ((**كل مخموم القلب، صدوق اللسان**))، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: ((**هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد**))[(١)].

تعريف الحسد لغة: الحسد مصدر قولهم: حسد يحسِد ويحسُد- بكسر السين وضمّها- وأصله القشر، وهو مأخوذ من الحسدل وهو القراد، فالحسد يقشر القلب، كما تقشر القراد الجلد فتمتصّ دمه[(٢)].

تعريف الحسد اصطلاحاً: قال الجرجانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحسد تمنّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد»[(٣)].

وقال المناويّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحسد: تمنّي زوال نعمة عن مستحقّ لها، وقيل: هو ظلم ذي النعمة بتمنّي زوالها عنه وصيرورتها إلى الحاسد»[(٤)].

أنواع الحسد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتحقيق أن الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود، وهو نوعان:

أحدهما: كراهة للنعمة عليه مطلقا فهذا هو الحسد المذموم،

---

(١) أخرجه ابن ماجة [٤٢١٦]، وصححه الألباني في الصحيحة [٩٤٨].
(٢) انظر لسان العرب لابن منظور الأندلسي: (٣/ ١٤٩).
(٣) التعريفات: (١/ ٨٧).
(٤) التوقيف: (١/ ١٣٩).

وإذا أبغض ذلك فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه فيكون ذلك مرضا في قلبه، ويلتذ بزوال النعمة عنه وإن لم يحصل له نفع بزوالها؛ لكن نفعه زوال الألم الذي كان في نفسه، ولكن ذلك الألم لم يزل إلا بمباشرة منه وهو راحة، وأشده كالمريض الذي عولج بما يسكن وجعه والمرض باق؛ فإن بغضه لنعمة الله على عبده مرض فإن تلك النعمة قد تعود على المحسود وأعظم منها، وقد يحصل نظير تلك النعمة لنظير ذلك المحسود، والحاسد ليس له غرض في شيء معين؛ لكن نفسه تكره ما أنعم به؛ ولهذا قال من قال: إنه تمني زوال النعمة فإن من كره النعمة على غيره تمنى زوالها بقلبه.

والنوع الثاني: أن يكره فضل ذلك الشخص عليه فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه فهذا حسد وهو الذي سموه الغبطة، وقد سماه النبي ﷺ حسدا في الحديث المتفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ((**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**))»[1][2].

خطورة الحسد:

إن داء الحسد من أعظم الأدواء، والابتلاء به من أشد البلاء، يحمل صاحبه على مركب صعب، ويبعده عن التقوى، ويركبه الأهواء فيضل ويغوى، ويضيق صدر الحسود، وينفطر قلبه إذا رأى نعمة الله

(١) أخرجه البخاري [١٤٠٩]، ومسلم [٨١٦].

(٢) مجموع الفتاوى: (١٠/ ١١٢).

على أخيه المسلم، فيعاني من البؤس والشقاء، ما لا يستطيع أن يبث معه ما يجده من الحزن والقلق، ولا يقدر على الشكوى، إلا إلى الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء أو من هو مثله في الحسد، فقاتل الله الحسود لا يفعل الخير ولا يحبه لإخوانه المسلمين، غاية أمنيته زوال نعمة الله عن عباده إنه بعمله سالك طريق إبليس لعنه الله، فما أوقع الشيطان في معصية الله إلا حسده لأبينا آدم وامتناعه من السجود بعد ما أمره الله، وما حمل قابيل على قتل هابيل إلا حسده لأخيه حيث تقبل الله منه قربانه الذي أراد به وجه الله والدار الآخرة وما منع المشركين والمترفين من اتباع الرسل إلا الحسد والكبر، وما حمل أهل الكتاب على كراهة الدين الإسلامي وصرف المسلمين عن كتاب الله والإيمان بسيد الرسل وخاتمهم إلا ما ذكره الله عنهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[1].

قال الماورديّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنّ الحسد خلق ذميم، مع إضراره بالبدن، وإفساده للدّين، حتّى لقد أمر الله بالاستعاذة من شرّه، وناهيك بحال ذلك شرّا، ولو لم يكن من ذمّ الحسد إلّا أنّه خلق دنيء، يتوجّه نحو الأكفاء والأقارب، ويختصّ بالمخالط والصاحب، لكانت النزاهة عنه كرما، والسلامة منه مغنما، فكيف وهو بالنّفس مضرّ، وعلى الهمّ مصرّ حتّى ربّما أفضى بصاحبه إلى التلف، من غير

(١) سورة البقرة: ١٠٩.

نكاية في عدوّ، ولا إضرار بمحسود»[1].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد»[2].

وقال بعض السلف: الحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء، يعني حسد إبليس لآدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وأول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله.

وقال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما حسدت أحدا قط على شيء؛ إن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا ومصيره إلى النار؟ ! وإن كان من أهل الجنة؛ فكيف أحسد رجلا من أهلها أوجب الله تبارك وتعالى له رضوانه؟ !»[3].

وقال بعض الأدباء: «ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود نفس دائم، وهم لازم، وقلب هائم»[4].

ويكثر الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب.

الفرق بين البخل والحسد:

قال الكفوي: «والبخل والحسد مشتركان في أن صاحبهما يريد منع النعمة عن الغير، ثم يتميز البخيل بعدم دفع ذي النعمة شيئا،

(١) أدب الدنيا والدين: (١/ ٢٦٩).
(٢) مجموع الفتاوى: (١٣/ ٢٤٢).
(٣) المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري المالكي [٢٩٣١].
(٤) أدب الدنيا والدين: (١/ ٢٦٩).

والحاسد يتمنى أن لا يعطى لأحد سواه شيئا»[1].

مراتب الحسد:

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: هي أربعة:

الأولى: أن يحب زوال تلك النعمة وإن كان ذلك لا يحصل له وهذا غاية الحسد.

والثانية: أن يحب زوال تلك النعمة عنه إليه وذلك مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة نالها غيره وهو يحب أن تكون له.

الثالثة: أن لا يشتهي عنها بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها لكي لا يظهر التفاوت بينهما.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم يحصل فلا يحب زوالها، وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين، [والثالثة: منها مذمومة وغير مذمومة، والثانية: أخف من الثالثة،] والأول: مذموم محض قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2] فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم[3].

---

(١) الكليات: (١/ ٢٤٢).

(٢) سورة النساء: ٣٢.

(٣) انظر إحياء علوم الدين: (٣/ ١٩٢).

الفرق بين الحسد والغبطة:

قال الكفويّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغبطة: تمنّي الإنسان أن يكون له من الذي لغيره من غير إرادة إذهاب ما لغيره، أمّا الحسد فهو إرادة زوال نعمة الغير، ثمّ إنّ الغبطة صفة المؤمن، والحسد صفة المنافق»[1].

أسباب الحسد:

١- بغض المحسود.

٢- إعجاب الحاسد بنفسه، كما قال إبليس معللا لامتناعه من السجود: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[2].

٣- العداوة والشحناء.

٤- الحقد الذي يقتضي التشفي والانتقام.

٥- التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره.

٦- الكبر، وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه، ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في أغراضه.

٧- الخوف من فوت المقاصد، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، كتحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية أو تحاسد الإخوة في نيل المنزلة في قلب الأبوين.

---

(١) الكليات: (١/ ٦٧٢).

(٢) الأعراف: ١٢.

٨- حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر.

٩- خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فإنك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه.

١٠- امتداد العين إلى ما متع الله به عباده من متاع المال والبنين ونعمة العافية والعلم والجاه والحكم، وقد نهى الله نبيه عن مد العين إلى ما عند الغير، فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

١١- أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه الحاسد، فيكره تقدمه فيه، واختصاصه به، فيثير ذلك حسدا لولاه لكف عنه.

مضار الحسد:

١- إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله عدلا ولا لنعمه من الناس أهلا.

٢- حسرات النفس وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء.

---

(١) سورة طه: ١٣١.

٣- انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة فعن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا)**[١].

٤- مقت الناس له، حتى لا يجد فيهم محبا، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليا، فيصير بالعداوة مأثورا وبالمقت مزجورا.

٥- يجلب النقم ويزيل النعم.

٦- منبع الشرور العظيمة ومفتاح العواقب الوخيمة.

٧- يورث الحقد والضغينة في القلب.

٨- معول هدم في المجتمع.

٩- دليل على سفول الخلق ودناءة النفس[٢].

علاج الحسد:

١ ـ العلم بخطورة الحسد، وأنه فيه ضررا في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود بل ينتفع به أما ضرره في الدين؛ لأن الحاسد تسخط على أقدار الله وكره النعم على عباد الله، فهذا قدح في الإيمان، وأنه مذهب لحسنات الحاسد، وأما ضرره في الدنيا فهو التألّم والعذاب عند حصول النعم أو صرف النقم عن المحسود فيكون في همّ دائم وحسرة لا تنقضي .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [٨١٥٧]، وحسنه الألباني في الصحيحة [٣٣٨٦].
(٢) نضرة النعيم: (١٠/ ٤٤٢٩).

٢ ـ أن ينظر الحاسد إلى من هو أسفل منه حتى لا يزدري نعمة الله عليه، كما قال النبي ﷺ: ((**إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه**)) متفق عليه[١].

٣ ـ مجاهدة النفس على فعل خلاف ما يدعو إليه الحسد مثل الذي يأمره الحسد أن يترفع عن الناس فيجاهدها بالتواضع، وإن أمره بالإساءة جاهدها بالإحسان، وإن حمله على قدح الناس جاهدها بالمدح والثناء.

٤ ـ البعد عن جميع أسباب الحسد المؤدية إليه.

٥ ـ استشعار أن إمامه في هذا المرض هو إبليس عليه لعنة الله عندما حسد نبي الله آدم عليه السلام، فهو أول ذنب وقع في السماء وأول ذنب وقع في الأرض.

٦ ـ الرضا بقضاء الله وقدره، واليقين بأن الأرزاق والحظوظ مقسومة بين الخلق قبل خلقهم.

٧- التوبة إلى الله تعالى من هذا الذنب والرجوع إليه رجوعاً صادقا، والسعي في قلع جذوره من القلب.

٨- العقل الذي يستقبح نتائج الحسد فيترفع عنه، ويبتعد عن دواعيه.

---

(١) أخرجه البخاري [٦٤٩٠]، ومسلم [٢٩٦٣].

٩- تجريد التوحيد إلى الله سبحانه وتعالى، واعتقاد أنه لا راد لقضاء الله فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

١٠- الإكثار من الدعاء بأن يذهبه الله من قلبه، والتعوذ بالله من شره، والدعاء للمحسود بالخير والتوفيق والسعة.

١١- أن يستشعر أن الحسد يجره إلى مغالبة قضاء الله تعالى، وهذا سوء أدب مع الله تعالى فإنه مغلوب مقهور ضعيف ليس له من الأمر شيء، وقد أحسن من قال:

يا حاسدا لي على نعمتي ... أتدري على من أسأت الأدب؟

أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض لي ما وهب

فأخزاك ربي بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

١٢- أن يحرص على التنافس فيما عند الله في الآخرة ويترك التنافس في فيما عند الناس من أمور الدنيا.

١٣- الإكثار من ذكر الموت والحساب، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من أكثر من ذكر الموت قل حسده وقل فرحه»[١].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٣٤٥٨٣].

مرض الغضب

الغضب من الأمراض القلبية الخطيرة التي قلّما يسلم منها أحد، وهو مفتاح لكثير من الشرور والأمراض، وهو من أسباب القتل والضرب والشتم وإطالة اللسان، ويحمل القلب على الحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة والعزم على إفشاء السر وهتكه، والفرح بمصيبة المغضوب عليه والغم بمسرته، وكل واحد من هذه الخبائث سم قاتل مهلك، وقد جاءت في القرآن آيات تحث على كظم الغيظ والغضب وكذلك جاءت السنة الصحيحة في النهي عن الغضب والتعرض لأسبابه.

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**)) متفق عليه[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: ((**لا تغضب**)) **فردد مرارا، قال:** ((**لا تغضب**))[4].

وعن سهل بن معاذ، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: ((**من**

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.
(٢) سورة الشورى: ٣٧.
(٣) أخرجه البخاري [٦١١٤]، ومسلم [٢٦٠٩].
(٤) أخرجه البخاري [٦١١٦].

كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عز وجل على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء))[1].

قال عروة بن الزّبير رَحِمَهُ اللَّهُ: «مكتوب في الحكم: يا داود إيّاك وشدّة الغضب، فإنّ شدّة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم»[2].

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «دخل النّاس النّار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكّا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه»[3].

تعريف الغضب لغة: نقيض الرّضا، وهو مصدر غضب يغضب غضبا، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: الغين والضّاد والباء أصل صحيح يدلّ على شدّة وقوّة. يقال: إنّ الغضبة: الصّخرة الصّلبة. قالوا: ومنه اشتقّ الغضب، لأنّه اشتداد السّخط، يقال: غضب يغضب غضبا، وهو غضبان وغضوب[4].

تعريف الغضب اصطلاحا: قال الجرجانيّ: «الغضب: تغيّر يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشفّي في الصّدر»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود [٤٧٧٧]، والترمذي [٢٠٢١]، وابن ماجه [٤١٨٦]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٢٧٥٣].

(٢) مساوئ الأخلاق للخرائطي: [٣١٨].

(٣) الفوائد: (١/ ٥٨).

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة: (٤/ ٤٢٨).

(٥) التعريفات: (١/ ١٦٢).

وقال الرّاغب الأصفهاني: «هو ثوران دم القلب وإرادة الانتقام»[1].

درجات الغضب:

قال الغزاليّ: يتفاوت النّاس في قوّة الغضب على درجات ثلاث وهي: التّفريط، والإفراط، والاعتدال.

أوّلا: التّفريط: ويكون إمّا بفقد قوّة الغضب بالكلّية أو بضعفها، وحينئذ يقال للإنسان: إنّه لا حميّة له ويذمّ جدّا، ومن هنا قال الشّافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: من استغضب فلم يغضب فهو حمار. وهذا يثمر ثمرات مُرّة، كقلّة الأنفة ممّا يؤنف منه من التّعرّض للحرم والزّوجة والأمة واحتمال الذّلّ من الأخسّاء وصغر النّفس.

ثانيا: الإفراط: ويكون بغلبة هذه الصّفة حتّى تخرج عن سياسة العقل والدّين والطّاعة ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطرّ، وسبب غلبته أمور غريزيّة، وأمور اعتياديّة، فربّ إنسان هو بالفطرة مستعدّ لسرعة الغضب حتّى كأنّ صورته في الفطرة صورة غضبان ويعيش على ذلك حرارة مزاج القلب وأمّا الأسباب الاعتياديّة: فهو أن يخالط قوما يتبجّحون بتشفّي الغيظ وطاعة الغضب ويسمّون ذلك شجاعة ورجوليّة.

ثالثا: الاعتدال: وهو المحمود وذلك بأن ينتظر إشارة العقل والدّين فينبعث حيث تجب الحميّة وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه

(١) المفردات في غريب القرآن: (١/ ٦٠٨).

على حدّ الاعتدال هو الاستقامة الّتي كلّف الله بها عباده وهو الوسط فمن مال غضبه إلى الفتور حتّى أحسّ من نفسه بضعف الغيرة وخسّة النّفس في احتمال الذّلّ والضّيم في غير محلّه فينبغي أن يعالج نفسه، ومن مال غضبه إلى الإفراط حتّى جرّه إلى التّهوّر واقتحام الفواحش ينبغي أن يعالج نفسه لينقص سورة غضبه ويقف على الوسط الحقّ بين الطّرفين وهذا هو الصّراط المستقيم وهو أرقّ من الشّعرة وأدقّ من السّيف فإن عجز عنه فليطلب القرب منه[1].

ومنه غضب النبي ﷺ إذا انتهكت محارم الله، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل»[2].

أسباب الغضب:

قال أبو حامد الغزاليّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «والأسباب المهيجة للغضب هي: الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة، والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب، فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها، ومن أشدّ البواعث عليه عند أكثر الجهّال تسميتهم الغضب شجاعة

(١) انظر إحياء علوم الدين: (٣/ ١٦٧-١٦٩).
(٢) أخرجه مسلم [٢٣٢٨].

ورجوليّة وعزّة نفس وكبر همّة، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا حتّى تميل النّفس إليه وتستحسنه، وقد يتأكّد ذلك بحكاية شدّة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشّجاعة والنّفس مائلة إلى التّشبّه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه»[1]

مضار الغضب:

١- يُغضِب الرّحمن الرّحيم، ويُرضي الشّيطان الرّجيم.

٢- الصّبر عليه أشدّ وأصعب من مجاهدة العدوّ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: ((**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**))[2].

٣- يؤول إلى التّقاطع وإفساد ذات البين.

٤- يتولّد منه الحقد والحسد، وهذا نقص في العقل والدّين.

٥- كثيرا ما يعقبه الاعتذار والنّدم، وقد يكون بعد فوات الأوان.

٦- يجعل صاحبه لا يستفيد من الموعظة والعبرة.

٧- قد يؤثّر على البدن حتّى يعمي البصر ويصمّ الآذان، ويخرس اللّسان، ويعجز الإنسان، بل قد يموت الإنسان وتزهق نفسه بالكلّيّة.

---

(١) إحياء علوم الدين: (٣/ ١٧٢).

(٢) أخرجه مسلم [٢٦٠٩].

٨- نفرة الخلق عنه وخوفهم من القرب منه[١].

٩- منبع الشرور والآثام كما جاء في الحديث عن حميد بن عبد الرحمن، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، أوصني؟ قال: ((**لا تغضب**))، قال: قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله[٢].

١٠- يدعو إلى العجلة، ويؤول إلى الندم.

علاج الغضب:

يعالج الغضب إذا هاج بأمور منها:

١- أن يذكر الله عزّ وجلّ فيدعوه ذلك إلى الخوف منه، ويبعثه الخوف منه على الطّاعة له فعند ذلك يزول الغضب، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[٣]، قال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني إذا غضبت[٤].

٢- أن يتفكّر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثواب ذلك، فتمنعه شدّة الحرص على ثواب هذه الفضائل عن التّشفّي والانتقام وينطفئ عنه غيظه.

٣- أن يخوّف نفسه بعقاب الله تعالى، ويعلم أنّ قدرة الله عليه أعظم من قدرته على هذا الإنسان، فلو أمضي فيه غضبه، لم يأمن أن

---

(١) نضرة النعيم: (١١/ ٥٠٩٧).

(٢) أخرجه أحمد [٢٣١٧١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٢٧٤٦].

(٣) سورة الكهف: ٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير: (٥/ ١٤٩).

يمضي الله- عزّ وجلّ- غضبه عليه يوم القيامة فهو أحوج ما يكون إلى العفو.

٤- أن يحذّر نفسه عاقبة العداوة والانتقام، وتشمير العدوّ في هدم أغراضه والشّماتة بمصائبه، فإنّ الإنسان لا يخلو من المصائب وهذا ما يعرف بتسليط شهوة على غضب، ولا ثواب عليه إلّا أن يكون خائفا من أن يتغيّر عليه أمر يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك.

٥- أن يتفكّر في قبح صورته عند الغضب، وأنّه يشبه حينئذ الكلب الضّاري والسّبع العادي، وأنّه أبعد ما يكون مجانبة لأخلاق الأنبياء والعلماء الفضلاء في أخلاقهم.

٦- أن يعلم أنّ غضبه إنّما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده هو فكيف يكون مراد نفسه أولى من مراد الله تعالى.

٧- أن يتذكّر ما يؤول إليه الغضب من النّدم ومذمّة الانتقام.

٨- أن يتذكّر أنّ القلوب تنجفل عنه وتحذر القرب منه، فيبتعد الخلق عنه فيبقى وحيدا فريدا، فإنّ ذلك جدير بأن يصرف الغضب عنه.

٩- أن يتحوّل عن الحال الّتي كان عليها، فإن كان قائما جلس وإن كان جالسا اضطجع.

١٠- أن يستعيذ بالله من الشّيطان الرّجيم، كما جاء في الصحيح

عن سليمان بن صرد رضي الله عنه، قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، فأحدهما احمرّ وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: ((**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد**)) فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون[1].

١١- أن يذكر ثواب العفو وحسن الصّفح فيقهر نفسه على الغضب.

١٢- أن يذكر انعطاف القلوب عليه وميل النّفوس إليه، فلا يرى إضاعة ذلك بتنفير النّاس منه ويكفّ عن متابعة الغضب[2].

١٣- أن يبتعد عن الأسباب المهيجة للغضب وأن يتصف بأضدادها.

١٤- أن يتوضّأ أو يستنشق بالماء.

(١) أخرجه البخاري [٣٢٨٢].

(٢) نضرة النعيم: (١١/ ٥٠٧٨).

مرض العشق

العشق من الأمراض الخطيرة التي تصيب القلب فتخرجه عن صحته واعتداله وهو داء أصيب به كثير من الناس، وقد يكون العشق بين الرجل والمرأة، وقد يكون بين الرجل ومثله من الرجال وقد يكون بين المرأة ومثلها من النساء، ويكون سببا في وقوع الفحشاء والمنكر من الزنا واللواط والسحاق، وقد يفقد الإنسان عقله وفهمه وصوابه فيكون كالمجنون الذي لا يعي.

تعريف العشق لغة: فرط الحب، وقيل: هو عجب المحب بالمحبوب ويكون في عفاف الحب ودعارته عَشِقَه يَعْشَقُه عِشْقاً وعَشَقاً وتَعَشَّقَهُ.

وَسُئِلَ أَبو الْعَبَّاس أَحمد بْنُ يَحْيَى عَنْ الحُبِّ والعِشْق: أَيّهما أَحمد؟ فَقَالَ: الحُب؛ لأَن العِشْقَ فِيهِ إفراط، وَسُمِّي العاشِقُ عاشِقاً لأَنه يَذْبُلُ مِنْ شِدَّة الْهَوَى كَمَا تَذْبُل العَشَقَةُ إِذا قُطِعَتْ، والعَشَقَةُ: شَجَرَةٌ تَخْضَرُّ ثُمَّ تَدِقُّ وتَصْفَرُّ [1].

تعريف العشق اصطلاحاً: الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه.

والعشق مركب من أمرين: استحسان للمعشوق، وطمع في الوصول إليه، فمتى انتفى أحدهما انتفى العشق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «العشق مرض من أمراض القلب، مخالف لسائر الأمراض في ذاته وأسبابه وعلاجه، وإذا تمكن

(١) انظر لسان العرب لابن منظور: (١٠/ ٢٥١-٢٥٢).

واستحكم عز على الأطباء دواؤه، وأعيى العليل داؤه، وإنما حكاه الله سبحانه في كتابه عن طائفتين من الناس: من النساء، وعشاق الصبيان المردان، فحكاه عن امرأة العزيز في شأن يوسف، وحكاه عن قوم لوط، فقال تعالى إخبارا عنهم لما جاءت الملائكة لوطا: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾»[1] [2].

خطورة العشق:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن عشق الصور المحرمة نوع تعبد لها، بل هو من أعلى أنواع التعبد، ولا سيما إذا استولى على القلب وتمكن منه صار تتيما، والتتيم التعبد، فيصير العاشق عابدا لمعشوقه، وكثيرا ما يغلب حبه وذكره والشوق إليه، والسعي في مرضاته، وإيثار محابه على حب الله وذكره، والسعي في مرضاته، بل كثيرا ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية، ويصير متعلقا بمعشوقه من الصور، كما هو مشاهد، فيصير المعشوق هو إلهه من دون الله عز وجل يقدم رضاه وحبه على رضى الله وحبه، ويتقرب إليه ما لا يتقرب إلى الله، وينفق في مرضاته ما لا ينفقه في مرضاة الله، ويتجنب من سخطه ما لا يتجنب من سخط الله تعالى، فيصير آثر عنده من ربه: حبا، وخضوعا، وذلا، وسمعا، وطاعة؛ ولهذا كان العشق والشرك متلازمين، وإنما حكى

(١) سورة الحجر: ٦٧- ٧٢.

(٢) الطب النبوي: (١/ ٢٠٠).

الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط، وعن امرأة العزيز، وكانت إذ ذاك مشركة، فكلما قوى شرك العبد بُلِيَ بعشق الصور، وكلما قوى توحيده صرف ذلك عنه والزنا واللواطة كمال لذتهما إنما يكون مع العشق ولا يخلو صاحبهما منه، وإنما لِتنقله من محل إلى محل لا يبقى عشقه مقصورا على محل واحد بل ينقسم على سهام كثيرة، لكل محبوب نصيب من تألهه وتعبده»[1].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما مرض الشهوة والعشق، فهو حب النفس لما يضرها وقد يقترن به بغضها لما ينفعها والعشق مرض نفساني، وإذا قوي أثر في البدن فصار مرضا في الجسم إما من أمراض الدماغ كالماليخوليا[2]؛ ولهذا قيل فيه هو مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، وإما من أمراض البدن كالضعف والنحول ونحو ذلك. والمقصود هنا «مرض القلب» فإنه أصل محبة النفس لما يضرها كالمريض البدن الذي يشتهي ما يضره، وإذا لم يطعم ذلك تألم وإن أطعم ذلك قوي به المرض وزاد، كذلك العاشق يضره اتصاله بالمعشوق مشاهدة وملامسة وسماعا، بل ويضره التفكر فيه والتخيل له وهو يشتهي ذلك فإن منع من مشتهاه تألم وتعذب وإن أعطي مشتهاه قوي مرضه وكان سببا لزيادة الألم[3].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:(١/ ٦٤).

(٢) قال الثعالبي: (الماليخوليا ضرب من الجنون، وهو أن يحدث بالإنسان أفكارا رديئة ويغلبه الحزن والخوف وربما صرخ ونطق بتلك الأفكار وخلط في كلامه). انظر فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي (١/ ١٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى: (١٠/ ١٣٠).

مضار العشق:

للعشق أضرار كثيرة منها:

١- أن الإنسان يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور، أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله، وعشق الصور أعظم شيء تشعيثا وتشتيتا له وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

٢- الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالى وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما الآخر، ويكون السلطان والغلبة له.

٣- عذاب قلبه به، فإن من أحب شيئا غير الله عذب به ولا بد، كما قيل:

فما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند الفراق ... وتسخن عينه عند التلاقي

والعشق وإن استلذ به صاحبه، فهو سبيل لعذاب القلب.

٤- إن قلبه أسير قبضة غيره يسومه الهوان، ولكن لسكرته لا

يشعر بمصابه، فقلبه كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى، والطفل يلهو ويلعب، كما قال بعض هؤلاء:

ملكت فؤادي بالقطيعة والجفا وأنت خلي البال تلهو وتلعب

فعيش العاشق عيش الأسير الموثق وعيش الخلي عيش المسيب المطلق.

٥- إن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في يابس الحطب، وسبب ذلك: أن القلب كلما قرب من العشق وقوي اتصاله به بَعُدَ من الله، فأبعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات، وتولاه الشيطان من كل ناحية، واستولى عليه لم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله، فما الظن بقلب تمكن منه عدوه ، وبَعُدَ منه وليه، ومن لا سعادة له ولا فرح ولا سرور إلا بقربه وولايته؟.

٦- إنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه، أفسد الذهن، وأحدث الوسواس، وربما ألحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها.

وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها مشاهد بالعيان، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات، فإذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله، وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضرابه إلا ذلك؟ وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين

٧- إنه ربما أفسد الحواس أو بعضها، إما إفسادا معنويا أو صوريا، أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرى القبيح حسنا منه ومن معشوقه فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب وعيوبه، فلا ترى العين ذلك، ويصم أذنه عن الإصغاء إلى العدل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك، والرغبات تستر العيوب، فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه، حتى إذ زالت رغبته فيه أبصر عيوبه، فشدة الرغبة غشاوة على العين، تمنع من رؤية الشيء على ما هو به، كما قيل:

هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

وأما فساد الحواس ظاهرا، فإنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدى إلى تلفه، كما هو المعروف في أخبار من قتلهم العشق.

وقد رفع إلى ابن عباس رضي الله عنهما وهو بعرفة شاب قد انتحل حتى عاد جلدا على عظم، فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق، فجعل ابن عباس رضي الله عنهما يستعيذ بالله من العشق عامة يومه.

٨- إن العشق كما تقدم هو الإفراط في المحبة، بحيث يستولي المعشوق على قلب العاشق، حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوة الحيوانية والنفسانية فتتعطل تلك القوة، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر، فتتغير

أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختل جميع ذلك، فتعجز البشر عن صلاحه، كما قيل:

الحب أول ما يكون لجاجة يأتي بها وتسوقه الأقدار

حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

والعشق مباديه سهلة حلوة، وأوسطه هم وشغل قلب وسقم، وآخره عطب وقتل، إن لم تتداركه عناية من الله تعالى، كما قيل:

وعش خاليا فالحب أوله عنا وأوسطه سقم وآخره قتل[1]

علاج العشق:

١ـ امتلاء القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه، والإنابة إليه، فإن ذلك ألذ وأطيب من كل شيء، فلا تبقى مع محبة الله محبة مخلوق تزاحمه، وكل من أحب شيئا بعشق أو غير عشق فإنه يصرف عن محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه إذا كان يزاحمه.

٢ـ الخوف من الله تعالى، فإن الخوف المضاد للعشق يصرفه بخوف حصول ضرر يكون أبغض إليه من ترك ذاك الحب.[2].

٣- إن كان العشق مما للعاشق سبيل إلى وَصْل محبوبه شرعا وقدرا، فهو علاجه، أي بالزواج الشرعي كما ثبت في «الصحيحين» **من حديث ابن مسعود** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** - صلى الله عليه وسلم -:((**يا معشر**

(١) انظر أضرار العشق من الجواب الكافي لابن القيم:(١/ ٢١٣-٢١٥).
(٢) المرجع السابق: (١٠/ ١٣٦).

الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)) [1] فدل المحب على علاجين: أصلي، وبدلي. وأمره بالأصلي، وهو العلاج الذي وضع لهذا الداء، فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره ما وجد إليه سبيلا.

٤-إن كان لا سبيل للعاشق إلى وصال معشوقه قدرا أو شرعا، أو هو ممتنع عليه من الجهتين، فمن علاجه إشعار نفسه اليأس منه، فإن النفس متى يئست من الشيء، استراحت منه، ولم تلتفت إليه.

٥ـ إن لم يزل مرض العشق مع اليأس، فقد انحرف الطبع انحرافا شديدا، فينتقل إلى علاج آخر، وهو علاج عقله بأن يعلم بأن تعلق القلب بما لا مطمع في حصوله نوع من الجنون، وصاحبه بمنزلة من يعشق الشمس، وروحه متعلقة بالصعود إليها والدوران معها في فلكها، وهذا معدود عند جميع العقلاء في زمرة المجانين.

٦- إن كان الوصال متعذرا شرعا لا قدرا، فعلاجه بأن ينزله منزلة المتعذر قدرا، إذ ما لم يأذن فيه الله، فعلاج العبد ونجاته موقوف على اجتنابه، فليشعر نفسه أنه معدوم ممتنع لا سبيل له إليه، وأنه بمنزلة سائر المحالات.

٧ـ إن لم تجبه النفس الأمارة، فليتركه لأحد أمرين:

الأول: إما خشية، وإما فوات محبوب هو أحب إليه، وأنفع له،

(١) أخرجه البخاري [٥٠٦٥]، ومسلم [١٤٠٠].

وخير له منه، وأدوم لذة وسرورا، فإن العاقل متى وازن بين نيل محبوب سريع الزوال بفوات محبوب أعظم منه، وأدوم، وأنفع وألذ، أو بالعكس، ظهر له التفاوت، فلا تبع لذة الأبد التي لا خطر لها بلذة ساعة تنقلب آلاما، وحقيقتها أنها أحلام نائم، أو خيال لا ثبات له، فتذهب اللذة، وتبقى التبعة، وتزول الشهوة، وتبقى الشقوة.

الثاني: حصول مكروه أشق عليه من فوات هذا المحبوب، بل يجتمع له الأمران، أعني: فوات ما هو أحب إليه من هذا المحبوب، وحصول ما هو أكره إليه من فوات هذا المحبوب، فإذا تيقن أن في إعطاء النفس حظها من هذا المحبوب هذين الأمرين، هان عليه تركه، ورأى أن صبره على فوته أسهل من صبره عليهما بكثير، فعقله ودينه، ومروءته وإنسانيته، تأمره باحتمال الضرر اليسير الذي ينقلب سريعا لذة وسرورا وفرحا لدفع هذين الضررين العظيمين. وجهله وهواه، وظلمه وطيشه، وخفته يأمره بإيثار هذا المحبوب العاجل بما فيه جالبا عليه ما جلب، والمعصوم من عصمه الله.

٦ـ إن لم تقبل نفسه هذا الدواء، ولم تطاوعه لهذه المعالجة، فلينظر ما تجلب عليه هذه الشهوة من مفاسد عاجلته، وما تمنعه من مصالحها، فإنها أجلب شيء لمفاسد الدنيا، وأعظم شيء تعطيلا لمصالحها، فإنها تحول بين العبد وبين رشده الذي هو ملاك أمره، وقوام مصالحه.

٧ـ فإن لم تقبل نفسه هذا الدواء، فليتذكر قبائح المحبوب، وما يدعوه إلى النفرة عنه، فالمساوئ داعية البغض والنفرة، ولا يكن ممن غرّه لون جمال على جسم أبرص مجذوم، وليجاوز بصره حسن الصورة إلى

قبح الفعل، وليعبر من حسن المنظر والجسم إلى قبح المخبر والقلب.

٨ـ فإن عجز عن هذه الأدوية كلها لم يبق له إلا صدق اللجأ إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، وليطرح نفسه بين يديه على بابه مستغيثا به، متضرعا متذللا، مستكينا، فمتى وفق لذلك فقد قرع باب التوفيق، فليعف وليكتم، ولا يشبب بذكر المحبوب، ولا يفضحه بين الناس ويعرضه للأذى، فإنه يكون ظالما معتديا[١].

٩ـ أن يعرف أن ما ابتلي به من هذا الداء المضاد للتوحيد؛ بسبب جهله وغفلة قلبه عن الله تعالى، فعليه أن يعرف توحيد ربه سبحانه وتعالى تحقيقا وامتثالا.

١٠ـ يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه، وأن يرجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[٢].

١١ـ الحمية وهي العزم الجازم على هجر المحبوب، فإن حصلت هذه الحمية حسنت المعالجة والعلاج[٣].

(١) زاد المعاد: (٣/ ٣٢٢- ٣٢٤).

(٢) سورة يوسف: ٢٤.

(٣) ذم الهوى لابن الجوزي: (١/ ٦٣٣).

مرض الحقد

الحقد من الأمراض التي تصيب القلب، وهو من نتائج الغضب، وقد ابتلي به كثير من الناس حيث إنهم يحقدون على إخوانهم من غير عفو ولا صفح، وبدون نسيان مساويهم، والحقد من الصفات الذميمة والأمراض الوبيلة التي تخرج القلب عن صحته واعتداله و يجر إلى أمراض أخرى من أمراض القلب كالحسد والبغضاء.

وقد ورد ذمه في الشرع، فمن ذلك قول الله تعالى في ذم المنافقين الذين ساءهم ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1].

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأضغان: جمع ضغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره»[3].

وأيضاً قد جاء في سوء عاقبة الحقد أحاديث عن النبي ﷺ منها:

ما روي عن أبي ثعلبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: ((**يطّلع الله على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويمهل الكافرين،**

(١) سورة آل عمران: ١١٩.
(٢) سورة محمد: ٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير: (٧/ ٣٢١).

ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه))[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((سيصيب أمتي داءُ الأمم)) فقالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: ((الأشر والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي))**[2].

تعريف الحقد لغة: الحاء والقاف والدال أصلان: أحدهما الضغن، والآخر ألا يوجد ما يطلب فالأول الحقد، ويجمع على الأحقاد. والآخر قولهم أحقد القوم، إذ طلبوا الذهبة في المعدن فلم يجدوها.[3].

وقال ابن منظور رحمه الله: «الحقد: إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها. والحقد: الضغن، والجمع أحقاد وحقود، وهو الحقيدة، والجمع حقائد»[4].

تعريف الحقد اصطلاحا: قال الجرجانيّ: الحقد: «هو طلب الانتقام، وتحقيقه: أنّ الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفّي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا.

وقال أيضا: الحقد سوء الظن في القلب على الخلائق لأجل

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير [٦٧٨]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٢٧٧١].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك [٧٣١١]، وصححه الألباني في الصحيحة [٦٨٠].

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس: (٢/ ٨٩).

(٤) لسان العرب: (٣/ ١٥٤).

العداوة»[1].

وقال الجاحظ: «الحقد: هو إضمار الشرّ للجاني إذا لم يتمكّن من الانتقام منه فأخفى ذلك الاعتقاد إلى وقت إمكان الفرصة»[2].

ووردت في اللغة ألفاظ عديدة يقترب معناها من الحقد بمعناه الاصطلاحيّ، وربّما استعملت في نفس معناه منها: الضغينة والنقمة والغلّ، وممّن استعمل ذلك القرطبيّ في تفسيره عندما قال: الغلّ: «هو الحقد الكامن في الصّدر»[3]، والدخن[4].

أسباب الحقد:

١ - الغفلة عن مداخل الشيطان، فالغافل المعرض يجره الشيطان رذائل الحقد وهو لا يدري.

٢- الغضب: فهو من أعظم أسباب الحقد، وذكر ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ الحقد مع كلّ من الغضب بالباطل والحسد على أنّها جميعا من كبائر الباطن، وعلّل جمعه لهذه الكبائر الثلاث بقوله: «لمّا كانت هذه الثلاثة بينها تلازم وترتّب، إذ الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب كانت بمنزلة خصلة واحدة، وذمّ كلٍّ يستلزم ذمّ الآخر، لأنّ ذمّ الفرع وفرعه يستلزم ذمّ الأصل وأصله

(١) التعريفات: (١/ ٩١).
(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ: (١/ ٣٣).
(٣) تفسير القرطبي: (٧/ ٢٠٨).
(٤) نضرة النعيم: (١٠/ ٤٤٣١).

وبالعكس»[1].

٣- المماراة والمنافسة: وكثيراً ما يحصل بين الأقران والإخوان فتحصل بينهم المنافسة والمماراة وهي كثرة الجدال، مما يؤدي إلى الحسد، ثم إلى الحقد.

٤- الخصومة والشحناء: فإنها توقع في الحقد، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر، ويحزن بمسرته، ويطلق اللسان في عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات»[2].

٥- الجهل: فالجاهل بشرع الله عرضة الأحقاد؛ فالعلم هو من يدفع عنه الحقد عن قلب العبد؛ لأنه يترفع به عن أدرانه، وينجيه من أضغانه.

٦- خبث النفس: وشحها بالخير لعباد الله تعالى.

٧- حب الدنيا: والحرص عليها، والخوف من فوات ملذاتها.

آثار الحقد:

١- سوء الظنّ وتتبّع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعيوبهم.

٢- التشفي والانتقام والسرور بحصول الضرر على المحقود

(١) الزواجر: (١/ ٨٣).
(٢) الأذكار: (١/ ٣٧١).

عليه، قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحقد يقتضي التشفي والانتقام مهما أصاب عدوه من البلاء فرح بذلك وظنه مكافأة من الله تعالى له، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك»[1].

٣- بقاء أثر القبيح في النفس، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحقد بقاء أثر القبيح من المحقود في النفس، ولعمري إن العقل يقضي ببقاء أثر القبيح كما يقضي ببقاء أثر الجميل فإذا ثبت أن الجميل لا ينسى فالقبيح كذلك إلا أنه يستحب الاجتهاد في إزالة أثر القبح من القلب»[2].

٤- الحسد: وهو أن يحمل الحاقد على أن يتمنى زوال النعمة عن المحقود عليه، فيَغتَم بنعمة إن أصابها، ويُسَر بمصيبة إن نزلت به.

٥- أن يهجر من وقع في قلبه الحقد عليهم، وينقطع عنهم ويعرض عنهم.

٦- أن يتكلم الحاقد في المحقود عليه بما لا يحل؛ من كذب، وغيبة، وإفشاء سر، وهتك ستر، وغيره.

٧- الاعتداء عليه بأي صورة من الصور.

٨- أن يمنعه حقده من قضاء دَيْن، أو صلة رحم، أو رد مظلمة، وكل ذلك حرام[3].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين: (١/ ١٨٩).
(٢) الطب الروحاني: (١/ ٢٦).
(٣) انظر إحياء علوم الدين: (٣/ ١٨١).

مضار الحقد:

١- إنّ الحقد هو المنبع الخطير لكثير من الرذائل والمحرمات، فمنه ينتج الحسد، والكذب والافتراء على الناس، ويحمله على الغيبة فهي متنفّس الحقود.

٢- الحقد يغضب الرب عز وجل، ويؤدي بصاحبه إلى الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

٣- الحقد والقطيعة والتشاحن سبب للحرمان من مغفرة الله تعالى، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: ((**تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**))[1].

٤- الحقد خلق ذميم يترفع عنه النبلاء والأصفياء ويقع فيه أهل الشر والأشقياء، وفيه شبه بالبعير فهو معروف بالحقد الدفين.

٥- الأحقاد نزغ من عمل الشيطان لا يستجيب له إلا من خفت أحلامهم وطاشت عقولهم.

٦- الحاقد ساقط الهمة، ضعيف النفس واهن العزم كليل اليد ينظر إلى الأمور نظرة قاصرة، لا تجاوز شهواته الخاصّة.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٥٦٥].

٧- الحقد يفضي إلى التنازع والتقاتل، واستغراق العمر في غم وحزن؛ لأنه محروم من سلامة الصدر.

٨- الحقد ينال من صاحبه أكثر مما ينال من خصومه، ويُبعِد عنه أصدقاءه كما يؤلِّب عليه أعداءه، ويكشف من مساوئه ما كان مستورًا، وينقله من زمرة العقلاء إلى حثالة السفهاء، ويجعله بقلب أسود ووجه مُصفَر، وحسرة لا تنقضي.

٩- الحاقد جاهل بربه وبسننه في هذا الكون؛ لأن لله حكما قد لا تظهر فى التو واللحظة، وقد يكون ما ظنه الحاقد نعمة فاتته وأدركت غيره مجرد ابتلاء واختبار تجلب على صاحبها من العناء ما لا يطيقه الحاقد الذي يتمناها.

١٠- الحاقد رجل مضَلَل ضائع، مخطيء في تقديره فهو محصور التفكير في الدنيا ومتاعها، ويتبع بالغيظ من نال منها حظا أوفر[١].

علاج الحقد:

١-الدعاء بسلامة القلب وطهارته من الغل والحقد، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[٢].

٢- القضاء على سببه الأصلي وهو الغضب، والبعد عنه وعن مقدماته.

---

(١) نضرة النعيم: (١٠/ ٤٤٤٠).

(٢) سورة الحشر: ١٠.

٣-استشعار خطورة الحقد، وأنه يجر على صاحبه الشقاوة والنكد في الدنيا قبل الآخرة.

٤-مجاهدة النفس على العفو والصفح وذلك برؤية الثواب للعافي وما أعد الله له من الأجر العظيم، مثل قول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

٥- العلم بخطورة عاقبة الانتقام والبغضاء، ويستشعر فضيلة الحلم و كظم الغيظ قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

٦- أن يُكلف نفسه أن يصنع بالمحقود عليه ضد ما اقتضاه حقده فيبدل الذم مدحاً والتكبر تواضعاً وهكذا.

٧- تقوية رابطة الأخوة الإيمانية، من تحقيق المحبة والإيثار والبعد عن العداوة والبغضاء، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فالأخوة الإيمانية والغل لا يجتمعان في قلب واحد.

٨-تواضع المسلم لأخيه المسلم يدفع بالأغلال والأحقاد، قال رسول الله ﷺ: ((**وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**))(٣).

قال أبو حاتم رحمه الله: «التواضع يكسب السلامة، ويورث

(١) سورة النور: ٢٢.
(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.
(٣) أخرجه مسلم: [٢٨٦٥].

الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد»[1].

٩-اعتذار المرء لأخيه المسلم، قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاعتذار يذهب الهموم ويجلي الأحزان، ويدفع الحقد ويذهب الصد»[2].

١٠- تقديم الهدية كما قال النبي ﷺ: ((**تهادوا تحابوا**))[3].

وذلك لأن الهدية خلق من أخلاق الإسلام تؤلف القلوب، وتنفي سخائم النفوس.

١١- الإخلاص والمناصحة ولزوم الجماعة، كما قال رسول الله ﷺ: ((**ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم، تحيط من ورائهم**))[4].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي لا يحمل الغل ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة، فإنها تنفي الغل والغش وهو فساد القلب وسخائمه، فالمخلص لله إخلاصه يمنع غل قلبه ويخرجه ويزيله جملة؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه فلم يبق فيه موضع للغل والغش»[5].

---

(١) روضة العقلاء: (١/ ٦١).

(٢) المرجع السابق: (١/ ١٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد [٥٩٤]، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد(١/ ٢٢١).

(٤) أخرجه ابن ماجة[٣٠٥٦]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [٤].

(٥) مفتاح دار السعادة: (١/ ٧٢).

١٢-أن يعلم أنّ قدرة الله عليه أعظم من قدرته، وأنّه سبحانه بيده الأمر والنهي لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه.

١٣- صيام رمضان و ثلاثة أيام من كل شهر.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر**))[١].

قال الإمام الزرقاني: «وحر الصدر: أي غله وغشه وحقده»[٢].

١٤-إلقاء السلام و المصافحة كما قال رسول الله ﷺ: ((**أفشوا السلام بينكم تحابوا**))[٣].

وقال الحسن: المصافحة تزيد في الود[٤].

(١) أخرجه البزار في مسنده [٦٨٨]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب [١٠٣٢].

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: (٤/ ٤١٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك : [٢١٨]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [١٠٨٦].

(٤) مكارم الأخلاق:[٨٥٠].

مرض الحرص

الحرص والطمع من الأمراض الخطيرة التي تفسد القلب، وهما مذمومان بالشرع والطبع والعقل؛ لأنهما يجران إلى مساوئ الاخلاق وارتكاب المنكرات، وخرق المروآت، وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب))** متفق عليه[1].

قال ابن رجب رحمه الله: «لو فكر الطامع في عاقبة الدنيا لقنع ولو تذكر الجائع إلى فضول مآلها لشبع.»[2]

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من نفس لا تشبع.

قال السيوطي رحمه في شرح **((ومن نفس لا تشبع))**: «هو استعاذة من الحرص والطمع والشره وتعلق النفس بالآمال البعيدة»[3].

وقال إبراهيم ابن أدهم رحمه الله: «قلة الحرص والطمع يورث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع يكثر الغم والجزع»[4].

وقال هزال القريعي: «مفتاح الحرص الطمع»[5].

---

(١) أخرجه البخاري [٦٤٣٦]، ومسلم [١٠٤٨].

(٢) لطائف المعارف: (١/ ٦١٥).

(٣) شرح صحيح مسلم للسيوطي: (٦/ ٧١).

(٤) الزهد الكبير للبيهقي:[٩٦].

(٥) القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا: (١/ ٧٧).

تعريف الحرص لغة:

الحِرْصُ، بالكسر: الجَشَعُ، وقد حَرَصَ، كضَرَبَ وسمِعَ، فَهو حَريصٌ من حُرَّاصٍ وحُرَصاءَ[1].

والحِرْصُ: شدّةُ الإِرادة والشَّرَه إِلى الْمَطْلُوبِ[2].

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «(حرص) الحاء والراء والصاد أصلان: أحدهما الشق، والآخر الجشع.

فالأول: الشق: يقال حرص القصار الثوب إذا شقه، والحارصة من الشجاج: التي تشق الجلد ومنه الحريصة والحارصة، وهي السحابة التي تقشر وجه الأرض من شدة وقع مطرها.

وأما الجشع والإفراط في الرغبة فيقال حرص إذا جشع يحرص حرصا، فهو حريص، ويقال حرص المرعى، إذا لم يترك منه شيء» وذلك من الباب، كأنه قشر عن وجه الأرض[3].

تعريف الحرص اصطلاحاً:

قال الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحرص: طلب شيء باجتهاد في إصابته»[4].

---

(١) القاموس المحيط: (٧/ ١١).

(٢) لسان العرب: (٧/ ١١).

(٣) انظر مقاييس اللغة: (٢/ ٤٠).

(٤) التعريفات: (١/ ٨٦).

أقسام الحرص:

١- حرص نافع، وهو الحرص على طاعة الله ومرضاته، والحرص على كل مايقرب إليه، كما جاء في الحديث الصحيح **((احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز))**[١].

٢- حرص ضارّ وهو حرص المرء على الدنيا، كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٢] وحبها يوقع فى الشبهات ثم فى المكروهات ثم فى المحرمات وطالما أوقع فى الكفر بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم وهلاكهم حب الدنيا فإن الرسل لما نهوهم عن الشرك والمعاصى التي كانوا يكسبون بها الدنيا حملهم حبها على مخالفتهم وتكذيبهم فكل خطيئة فى العالم أصلها حب الدنيا ولا تنس خطيئة الأبوين آدم عليه السلام وحواء قديما فإنما كان سببها حب الخلود فى الدنيا[٣].

والحرص على الدنيا له أنواع كثيرة منها:

أ/ الحرص على المال وهذا من أخطر أنواع الحرص الضار وأفسده على القلب ويكثر الوقوع فيه؛ لميل القلب إليه وكثرة الرغبة فيه كما قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[٤] وكما جاء في الحديث عن ابن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه، قال: قال

---

(١) أخرجه مسلم [٢٦٦٤].

(٢) سورة الأعلى: ١٦، ١٧.

(٣) انظر عدة الصابرين لابن القيم: (١/ ٢١٩).

(٤) سورة الفجر: ٢٠.

رسول الله ﷺ: **((ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه))**[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «بين ﷺ أن الحرص على المال والشرف في فساد الدين، لا ينقص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم وذلك بين؛ فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص؛ وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شيء أحب إليه من ذلك حتى يقدمه عليه»[2].

ومن الحرص على المال محبة الذهب والفضة والأنعام والخيل والحرث والزرع قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ، قال: **((تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش))**[4].

ب/ الحرص على الشرف والجاه والرياسة والمناصب العالية، ومنه حب الظهور والشهرة بين الناس وهذا مرض كثر الوقوع

(١) أخرجه الترمذي [٢٣٧٦]، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) مجموع الفتاوى: (١٠/ ٢١٥).

(٣) سورة آل عمران: ١٤.

(٤) أخرجه البخاري [٢٨٨٧].

فيه، وتنافس الناس عليه، وله مخاطر عديدة من الطرد والبعد عن الله، كذنب إبليس سببه حب الرياسة فطرد من الجنة، وأهبط إلى الأرض، وبسبب حب الرياسة كفر فرعون وهامان وجنودهما وأبو جهل وقومه واليهود، فحب الدنيا والرياسة هو الذى عمّر النار بأهلها، والزهد فى الدنيا والرياسة هو الذي عمّر الجنة بأهلها[1].

ج/ الحرص على اللهو واللعب وهذا مما ذمه الله تعالى في القرآن الكريم وذمّ أهله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾[2].

أسباب الحرص:

١ – الجهل بحكمة الله عز وجل الخالق المتفضل الرزاق الوَّهاب المنعم، فمن طمع فإنه جهل حكمة الله عز وجل إذ قدَّر المقادير فلا يزيده حرصه هذا إلا شرا.

٢ – حب الدنيا، وطول الأمل والغفلة عن الآخرة.

٣– الحسد، كما قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحرص متولد عن الطمع، والطمع متولد عن الحسد، والحسد متولد عن الرغبة، والرغبة متولدة عن الجور والشح والجهل، ويتولد من الحرص رذائل عظيمة منها: الذل والسرقة والغصب، والزنا والقتل والعشق والهم

(١) انظر عدة الصابرين لابن القيم: (١/ ٢٢٠)

(٢) سورة المعارج: ٤٢ – ٤٤.

بالفقر، والمسألة لما بأيدي الناس تتولد فيما بين الحرص والطمع»[1].

مضار الحرص:

١- من أوائل الذنوب التي عصي الله تعالى بها كما قيل: أول ذنب عصى الله به ثلاثة الحرص والكبر والحسد فالحرص من آدم عليه السلام والكبر من إبليس والحسد من قابيل حيث قتل هابيل[2].

٢- الحرص مفسدة للدين والمروءة، فهو يوجب سخط الله تعالى وعقابه.

٣- أصل لكل ذم، وسبب لكل لؤم؛ لأنه مفتاح من مفاتيح الشر على العبد كما وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحرص والشح أصل لكل ذم، وسبب لكل لؤم، والحرص يسلب فضائل النفس؛ لاستيلائه عليها، ويمنع من التوفر على العبادة؛ لتشاغله عنها، ويبعث على التورط في الشبهات؛ لقلة تحرزه منها وهذه الثلاث خصال هن جامعات الرذائل، سالبات الفضائل، مع أن الحريص لا يستزيد بحرصه زيادة على رزقه سوى إذلال نفسه، وإسخاط خالقه وليس للحريص غاية مقصودة يقف عندها، ولا نهاية محدودة يقنع بها؛ لأنه إذا وصل بالحرص إلى ما أمّل أغراه ذلك بزيادة الحرص والأمل، وإن لم يصل رأى إضاعة الغنى لؤما، والصبر عليه حزما، وصار بما سلف من رجائه أقوى رجاء وأبسط أملا»[3].

---

(١) الأخلاق والسير: (١/ ٦٠).

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها لابن تيمية: (١/ ٢٢).

(٣) بتصرف عن أدب الدنيا والدين: (١/ ٢٢٤-٢٢٥).

٤- سبب لشقاوة العبد في الدنيا قبل الآخرة فتجد الحريص ذليلاً مأسوراً لهواه وطمعه لا يهنأ بعيش ولا يقنع بحال وصدق من قال: أذلّ الحرص أعناق الرجال.

٥- زوال البركة من المال، كما أن القناعة من أعظم أسباب جلب البركة، فعن حكيم بن حزام ﷺ، قال: سألت رسول الله ﷺ، فأعطاني، ثم سألته، فأعطاني، ثم سألته، فأعطاني ثم قال: **((يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى))**، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر ﷺ، يدعو حكيما إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر ﷺ دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم، أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي. متفق عليه[1].

٦- يمنع من كثير من العبادات والطاعات؛ لانشغاله بالدنيا وشهواتها.

٧- يسلب فضائل النفس من القناعة والعفة والجود والإحسان إلى الناس.

---

(١) أخرجه البخاري [١٤٧٢]، ومسلم [١٠٣٥].

٨- يوقعه في المحرمات من الغش والخداع والسرقة والاحتيال.

علاج الحرص:

١- الاقتصاد في المعيشة، والرفق في الإنفاق وهو الأصل في القناعة.

٢- أن يتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه، وإن لم يشتد حرصه.

٣- أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء، وما في الحرص والطمع من الذل والمداهنة.

٤- أن يكثر تأمله في تنعم الكفرة والحمقى، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء، ويستمع أحاديثهم، ويطالع أحوالهم، ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة الفجار أو الأبرار، فيهون عليه الصبر على القليل، والقناعة باليسير.

٥- أن يفهم ما في جمع المال من الخطر، ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في أمور الدنيا، لا إلى من فوقه، فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة[١].

٦- أن يعلم أن الدنيا ليست بدار قرار، وأن الآخرة دار مقر، والعاقل من يعمل لدار قراره لا لمراحل سفره، فإن المراحل تنقطع بالمقام في السفر فيعمل إلى ما إليه مآبه.

---

(١) موعظة المؤمنين للقاسمي: (١/ ٢٢٢).

٧- قصر الأمل، والاستعداد للموت.

٨-اليأس مما في أيدي الناس، والطمع فيما عند الله سبحانه وتعالى.

٩- التمسك بالكتاب والسنة، والاستعانة بالصبر والصلاة.

ولقد أحسن من قال:

دَعِ الْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا ... وَفِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعْ

وَلَا تَجْمَعْ مِنْ الْمَالِ ... فَلَا تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعْ

فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ ... وَسُوءُ الظَّنِّ لَا يَنْفَعْ

فَقِيرٌ كُلُّ ذِي حِرْصٍ ... غَنِيٌّ كُلُّ مَنْ يَقْنَعْ

الخاتمة

أهم ما توصلت إليه في هذا البحث، وما طرقته من موضوعات:

* بيان أهمية القلب، وأنه خالص ما في الإنسان وأشرفه، وأنه للجسد بمثابة المَلِك وباقي الأعضاء جنود له، لذا حق لكل عاقل أن يحفظ هذا المَلِك ويحفظ ملكه ويحصنه أشد التحصين؛ لأن بحياة المَلِك وصلاحه صلاح الرعية وبفساده فساد الرعية وهلاكهم، فعلى المسلم أن يهتم بقلبه بالتصحيح والتقويم والعلاج حتى ينال خيري الدنيا والآخرة.

* إن الاهتمام بجانب إصلاح القلب، وتخليصه من أدرانه وآفاته، جانب مهم في حياة وسلوك المسلمين، وصلاح شأنهم وأخلاقهم وسبب لتمسكهم بكل فضيلة وتخلصهم من كل رذيلة، وصلاح وعزيمتهم، وتوحد كلمتهم إذا استطاعوا أن ينتصروا على العدو الأول، وهو النفس ثم الشيطان، فكان هذا بريدا على انتصارهم على أعداء الله تعالى.

* إن إهمال قضية تزكية القلب، وتخليته من الأمراض هو الداء العضال الجالب لكل محنة والدافع لك منحة، وذلك أن الناس إذا ابتلوا بشيء من هذه الأمراض القلبية ولم يسارعوا إلى معالجتها وإزالتها كان لها الأثر الكبير في انحطاط المجتمع وسيره نحو الهاوية؛ مما تنتجه تلك الأمراض؛ لأنها بمثابة السموم على الجسد فترى

الانحراف في السلوك والاعتقاد وتجد الناس أحوالهم مختلفة، فمنهم من غلبت عليه الصفات السبعية، ومنهم من غلبت عليه الصفات البهيمية، كل هذا بسبب إهمال تزكية القلب ومعالجته.

* إن كل شخص من المسلمين ينبغي له أن يحاسب نفسه، ويفتش فيها عن هذه الأمراض الخطيرة، من خلال معرفة علامات صحة القلب، وأمراضه، وينبغي له أن لا يزكي نفسه وينسبها إلى الصلاح والكمال، بل كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، فإن من اتهم نفسه بالتقصير واشتغل بمطالعة عيوبها كان حريا أن لا يقع في هذه الأمراض.

* يجب على العبد المسلم أن يعرف حقيقة تلك الأمراض، ومعرفة أسبابها وعلاماتها؛ حتى يكون على حيطة من الوقوع فيها، والانغماس في أسبابها وهو لا يدري.

* وكذلك يجب على المسلم معرفة ماهي الطرق الصحيحة في علاج هذه الأمراض؛ لأنها إذا لم تتدارك بالعلاج والإزالة أدت بصاحبها إلى موت قلبه وفساده.

وفي الختام هذا ما يسر الله جمعه في معالجة هذه الأمراض، وهناك أمراض أخرى لم تذكر خشية الإطالة فليرجع إليها في مظانها من كتب أهل العلم والسلوك، وأسأل الله العلي القدير أن يجعلنا من أصحاب القلوب السليمة الصحيحة المنتفعة بذكره، والمنقادة لأمره، وأن يبعد عنا هذه الأمراض، وأن يشفي كل من ابتلي بها وأسأل الله

العظيم أن يجعله هذا الكتاب خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأذكار: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

٣. اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ: ١٩٨٨م.

٤. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (المتوفى: ٥٤٣هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٥. أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٦. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٧. الأخلاق والسير في مداواة النفوس: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

٩. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩.

١٠. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١١. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٢. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٣. المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية، دار ابن حزم (بيروت - لبنان).

١٤. بدائع الفوائد: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١- ٧٥١هـ): عني بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله للمرة الأولى إدارة المطبعة المنيرية، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض،الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، الناشر: دار الهداية.

١٦. التبصرة: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥١٠- ٥٩٧هـ) تحقيق د. مصطفى.

١٧. التبيان في أقسام القرآن: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن ايوب قيم الجوزية (٦٩١- ٧٥١هـ)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان .

١٨. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٩. تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا

القران الكريم: لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي المتوفي (سنة ٩٥١هـ)، مطبعة دار التراث العربي بيروت: لبنان.

٢٠. تفسير القرآن العظيم: للإمام اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت سنة ٧٧٤هـ)، مطبعة دار المعرفة بيروت: لبنان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢١. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ.

٢٢. تلبيس إبليس: للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي (ت سنة ٥٩٧هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة ١٣٦٨هـ إدارة الطباعة المنيرية بمساهمة علماء الازهر الشريف، مكتبة الشرق الجديد ـ بغداد: العراق .

٢٣. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت.

٢٤. تهذيب الأخلاق: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الكناني الليثي البصري الجاحظ (١٥٩ - ٢٥٥ هـ)، الطبعة الأولى(١٤١٠هـ)، دار الصحابة للتراث.

٢٥. تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد الغزالي تأليف العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع : الطبعة الثانية.

٢٦. التواضع والخمول: لابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.

٢٧. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب -القاهرة الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ) الطبعة الأولى، طبعة مؤسسة الرسالة ١٩٩٨م.

٢٩. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٠. جامع الرسائل: ابن تيمية (المتوفى : ٧٢٨هـ)، المحقق: د.

محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء – الرياض الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (٧٢٦– ٧٩٥هـ)، مؤسسة الرسالة : الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٣. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية– بيروت الطبعة الأولى.

٣٤. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن قيم الجوزية (٦٩١– ٧٥١)، دار العلوم الحديثة بيروت لبنان، مكتبة الشرق الجديد بغداد ـ العراق.

٣٥. الحدائق في علم الحديث والزهديات: للإمام أبي الفرح عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي (ت سنة ٥٩٧هـ)، حققه وعلق عليه مصطفى السبكي: دار الكتب العلمية بيروت: لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٨ – ١٤٠٨هـ.

٣٦. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: عبد الرحمن بن أبي

بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: أبي اسحق الحويني، دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣٧. ذم الملاهي لابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

٣٨. ذم الهوى: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي (٥١٠- ٥٩٧هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

٣٩. رسائل ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٤٠. روضة الطالبين وعمدة السالكين: للإمام محمد أبي حامد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، مطبعة السعادة بمصر.

٤١. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٢. روضة المحبين ونزهة المشتاقين: للإمام ابن قيم الجوزية (٦٩١- ٧٥١هـ): دار الكتب العلمية بيروت: لبنان.

٤٣. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة: الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، طبعه ونشره دار المنهاج الطبعة الأولى ٢٠٠٥.

٤٤. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (المتوفى:٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ

٤٥. زاد المعاد في هدي خير العباد: للإمام ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي: مطبعة السنة المحمدية.

٤٦. الزهد الكبير: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٦.

٤٧. الزهد والرقائق: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٨. الزهد: أبو سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي (المتوفى: ١٩٧هـ) تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٤٩. الزهد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام

شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٥٠. الزواجر عن اقتراف الكبائر: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٥١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

٥٢. سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

٥٣. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

٥٤. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٥٥. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه

عبد الرءوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٥٦. شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي حققه جماعة من العلماء: طبعة المكتب الاسلامي، الطبعة السادسة ١٤٠٠هـ.

٥٧. شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

٥٨. شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٥٩. شعب الإيمان: البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

٦٠. شفاء العليل في مسائل القدر والتنزيل: للإمام ابن قيم الجوزية: طبعة دار الكتب العلمية بيروت: لبنان.

٦١. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٦٢. صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف – الرياض الطبعة: الخامسة.

٦٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

٦٤. صيد الخاطر: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي، مطبعة خضير بشارع محمد على بمصر.

٦٥. الطب الروحاني: للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي: طبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٨هـ.

٦٦. الطب النبوي: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت.

٦٧. طريق الهجرتين وباب السعادتين: للإمام ابن قيم الجوزية ، إعداد المكتب العالمي للبحوث، بإشراف عبد المنعم العاني: منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.

٦٨. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٦٩. عيوب النفس: للإمام محمد بن الحسين بن راوية العربي الأصل المعروف بأبي عبد الرحمن السلمي: تحقيق أبي مريم

مجدي فتحي السيد: دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٠. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)، مؤسسة قرطبة – مصر الطبعة: الثانية: (١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م).

٧١. الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٧٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣- ٨٥٢هـ)، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

٧٣. فوائد قرآنية للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي المتوفي سنة ١٣٨٥هـ، مطبعة المكتب الاسلامي لصاحبه زهير شاويش.

٧٤. الفوائد: للإمام ابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٧٥. القاموس المحيط: تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مطبعة دار الجميل بيروت ـ لبنان: الطبعة الاولى.

٧٦. القول السديد شرح كتاب التوحيد: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: المرتضى الزين أحمد، الناشر: مجموعة

التحف النفائس الدولية الطبعة: الثالثة .

٧٧. كتاب الأربعين في أصول الدين: لأبي حامد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): مكتبة الجندي.

٧٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٧٩. لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، طبعة دار صادر بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى.

٨٠. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٨١. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٨٢. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه

وطبعه: محمد بن سعد الشويعر .

٨٣. مجموعة الفتاوى: للإمام ابن تيمية الحراني المتوفي سنة ٧٢٨هـ اعتنى بها وخرج أحاديثه عامر الجزار وأنور الباز، مطبعة دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٧٧هـ.

٨٤. مختصر منهاج القاصدين: الإمام أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي (ت ٧٤٢هـ)، علق عليه شعيب الأرنؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان ١٣٩٨ هـ.

٨٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٨٦. المدهش للإمام أبي عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي، طبعة وصححه وعلق عليه د. مروان قباني: مطبعة دار الكتب العلمية: بيروت لبنان: الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٨٧. مساوئ الأخلاق ومذمومها: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٨٨. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد

الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٨٩. مسند ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، الناشر: دار الوطن - الرياض الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

٩٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٩١. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى.

٩٢. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية - حلب الطبعة: الأولى (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م).

٩٣. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي

بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية.

٩٤. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: للإمام ابن قيم الجوزية: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٩٦. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٩٧. مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: إياد خالد الطباع، الناشر: دار الفكر–دمشق الطبعة: الأولى،١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٩٨. مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها: أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة

الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩٩. منهاج العارفين: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، مطبعة السعادة.

١٠٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

١٠١. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: مأمون بن محيي الدين الجنان، الناشر: دار الكتب لعلمية،: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١٠٢. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة الرابعة.

١٠٣. الوابل الصيب من الكلم الطيب: للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع.

فهرس المحتويات

المقدمة..... ١١

التمهيد..... ١٥

المبحث الأول: حياة القلب..... ١٩

المطلب الأول: حقيقة حياة القلب..... ٢١

المطلب الثاني: أهمية حياة القلب..... ٢٦

المطلب الثالث: أسباب حياة القلب..... ٣٤

المطلب الرابع: علامات حياة وصحة القلب..... ٤٦

المبحث الثاني: أمراض القلب..... ٥١

المطلب الأول: حقيقة أمراض القلب..... ٥٣

المطلب الثاني: أقسام أمراض القلب..... ٥٧

المطلب الثالث: أسباب أمراض القلب..... ٦٢

المطلب الرابع: علامات أمراض القلب..... ٧٨

المبحث الثالث: علاج أمراض القلب..... ٨١

المطلب الأول: أهمية علاج أمراض القلب..... ٨٣

المطلب الثاني: أقسام علاج أمراض القلب..... ٨٥

القسم الأول: العلاج العام..... ٨٥

أولاً: العلاج بالقرآن الكريم..... ٨٥

ثانياً: العلاج بالذكر..... ٩٠
ثالثاً: العلاج بالدعاء..... ٩١
رابعاً: الالتزام بالعلم النافع والعمل الصالح..... ٩٣
خامساً: العلاج بالضد ومخالفة المرض..... ٩٥
سادساً: العلاج بالمجاهدة والرياضة..... ٩٧
سابعاً: العلاج بالتوسط بالمباحات..... ٩٨
ثامناً: مجالسة الصالحين..... ١٠٠
القسم الثاني: العلاج الخاص..... ١٠٣
علاج النفاق..... ١٠٥
علاج الرياء..... ١٢٣
علاج الكبر..... ١٣٧
علاج العجب..... ١٤٧
علاج البخل..... ١٥٧
علاج الحسد..... ١٦٩
علاج الغضب..... ١٨١
علاج العشق..... ١٩١
علاج الحقد..... ٢٠٣
علاج الحرص..... ٢١٥
الخاتمة..... ٢٢٥
قائمة المصادر..... ٢٢٩
فهرس المحتويات..... ٢٤٧